ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 36 - العدد 1018 - الجمعة 30 صفر 1424 هـ - الموافق 2 ماي 2003

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

تفسير الرحمن الرحيم

بالقرآن ترفع أقوام

لاشك أن الله تبارك وتعالى ميز كتابه الذي لاياتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه بكثير من الفضل فمن كرس الجهد لحفظه ودراسه علومه والتدبر في معانيه يرى فيه من الحكم الربانية والتوجيهات الرحمانية والتربية الانسانية والهداية الايمانية الصحيحة قال فيه صلاح البشرية في دنياها وآخرتها فهو كتاب الله الذي لاتنقضى عجائبه ولا يخلق على طول التكرار ما تعاقب الليل والنهار (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى).

فالخير في الاقبال على القرآن والشر في الاعراض عنه بدون بهتان قال عليه الصلاة والسلام (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) صحيح البخاري. فزيادة على هداية القرآن للبشرية وتصحيح إيمانها وتهذيب أخلاقها والأخذ بيدها لما فيه صلاح حالها ومعادها فإنه يحيط المتأدب بآدابه المتخلق بما يشير إليه بسياج من الإيمان يحصنه مما يتخوف منه ضعيفو الضمائر كما يجعله إيمانه الراسخ بفضل القرآن في بحبوحة من راحة النفس واطمئنانها مومن بأن قراء آية واحدة من كتاب الله في مسجد خير له من كل شيء لضخامة مردودية كتاب الله للمقبلين عليه الملتزمين تلاوته العاملين بما يهدي إليه. عن عقبة ابن عامر (ض) قال: خرج علينا رسول الله (ص) ونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فياتي بناقتين كوماوين في غير إثم ولاقطع رحم؟ قالوا: يارسول الله كلنا يحب ذلك. قال: فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الابل)مسلم.

فعندما كان المسلمون يطبقون ما جاء في القرآن ويعملون بأوامره ويجتنبون نو اهيه استطاع المومنون المسلمون أن ينشروا بهذا الكتاب هداية ويبنوا حضارة ويزرعوا محبة فهو يهدي للتي هي أقوم فعن عمر بن الخطاب أن رسول الله (ص) قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين) مسلم.

يهدي كتابنا إلى الرشد ويأمر بالعمل الخلاق وعدم التوقف عنه ويحث على التدبر والخلق والابداع والتعاون والتعاضد كما يحفز على التكافل الاجتماعي ويأمر باحترام الانسان لأخيه الانسان والعناية به وعدم الإكراه في الدين وينهى عن الظلم والتعالي والتجبر على الآخرين إنه كتاب الإصلاح والبناء والتشييد ونشر السلم والوئام.

يحرم الكذب والدعايات المسمومة المختلقة المغرضة التي تلوث أفكار المجتمعات وتنحرف بهم عن الصدق والاستقامة وترمي بهم في مهاوي إشباع رغبة الهيمنة..

إن أمة الإسلام العاملة بما يدعو له الكتاب تنشر الالفة وتهذب الأخلاق وتبتعد من الظلم والكره والبغض فهذه الأمة آلفة مألوفة بتربيتها وسلوكها إخواني في الله: إن من يريد تعميق المحبة في النفوس واحترام الانسان وحب هدايته فليقبل على القرآن حفظا ودراسة وتدبرا وعملا بما جاء به، فإذا طبقت الانسانية ماجاء في القرآن فسينقذها ولاشك مما أصابها من انحراف عن الإيمان الصحيح...

ولقد بين لنا رسول الله (ص) مانزل علينا في هذا الكتاب بمقتضى الأحاديث الصحيحة وعلمله الثابت عنه (ص) وبذلك رسم لنا بالكتاب والسنة الطريقة المستقيمة الواضحة التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولقد تمسك سلفنا الصالح بالاقبال على القرآن والاعتناء بحفظته الماهرين في قراءته حفظا وترتيلا وتجويدا ورسما ولقد اهتم ملوكنا العلويون اهتماما منقطع النظير بمدارس القرآن والمشرفين عليهم والدارسين بهم، وقد كان لعمل هذه المدارس نتائج سارة فلقد أعطت أفواجا لايحصون كثرة من حفظة كتاب الله بهذا البلد الامين ولازال هذا العطاء المحمود مستمرا ولله الحمد إلى يومنا هذا ولقد تنافس المحسنون جزاهم الله خيرا في مساعدة هاته المدارس لتبقى تقوم بالدور الطلاعي في تلقين كتاب. ولتشجيع المقبلين على القرآن أحدثت جائزة محمد السادس بمقتضى الظهير الشريف رقم:١٠٢٢٠٤الصادر بتاريخ ١٢ جمادى الأولى عام ١٤٢٣ الموافق ٢٧ يوليوز ٢٠٠٢ ليزداد الاقبال على تحفيظه في جميع جهات المملكة ليكثر الماهرون في كتاب الله: فعن عائشة (ض) أن رسول الله (ص) قال: (الماهرون في القرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)متفق عليه.

إن هذا المجهود الجبار الذي يقوم الملقنون للقرآن والمنفقو عليه له عند الله أجر عظيم (إن الله لايضيع أجر المحسنين).

قال عليه الصلاة والسلام : (لاحسد إلا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل أتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر (ض).

وفقنا الله لما يرضيه وسلك بنا سبيل النجات في هذه الدار وبعد الممات. إنه ولي التوفيق.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة

الخلق العظيم في الإسلام

القراء المهتمون بآيات الأحكام

المجاهدة

الماسونية

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

نجعل عنوان هذا الحديث كلمات من القرآن الكريم من سورة الرعد/الآية:٢٨ التي يقول الله تعالى فيها: "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله. ألا بذكر الله تطمئن القلوب".

لقد نزلت كارثة كبيرة على المسلمين فوق أرض بغداد وماحولها من المدن العراقية بعد الاحتلال البغيض الذي قام به فرعون القرن بجيوشه وأحلافه، فشرد شعب العراق وأحرق بيوته وضرب مؤسساته الإدارية والتجارية والعلمية، ولم تسلم من شره حتى بيوت الله فدخل لمسجد الإمام أبي حنيفة وهتك حرمته و قتل أحد أئمة المسلمين ومن معه داخل إحدى المؤسسات المقدسة لدى الشيعة، وعاث في الأرض فسادا، وحرض الغوغاء على العيث بأملاك الشعب فشاهدنا المنكرات يقوم بها أفراد - لاندري من أين جاءوا - تحت أعين وحراسة المحتلين، إنها صدمة تبكي العيون وتدمي القلوب وتجرح الأفئدة، إنها فتنة سلطها الله على شعب العراق المسلم، شعب الحضارة الإسلامية، شعب الثقافة الفقهية والنحوية واللغوية والفكرية.

إننا نتصور أن شعب العراق كان يندب حظه مما وقع له بسبب الاحتلال الجديد من القوة الظالمة، قوة فرعون القرن الواحد والعشرين.

إننا نتأسف على شعب العراق المسلم، ونتألم لما حدث ويحدث له، والعالم كله يشهد على سقوط بغداد للمرة الثانية في التاريخ على يد أنصار البغي والظلم والعدوان، إننا نسمع أصوات الاستغاثة من النساء والعجزة والأطفال والشيوخ ونتصور الأحداث في تفسير قول الله تعالى "الفتنة أشد من القتل" ولا سبيل لتقديم النصرة إلا بالتوجه إلى الله عز وجل بالصلاة والذكر والدعاء ليرد كيد الغاصبين، أعداء الإسلام الباغين الظالمين في نحورهم ليكونوا عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد.

م.ر.

تابع صفحة 2

المكانة السامية التي حظيت به المرأة في ظل الشريعة الإسلامية

■ إعداد الاستاذ: عثمان بن خضراء

■ إذا أردنا أن نعرف المكانة السامية والتكريم السمح الذي حظيت به المرأة في ظل الشريعة الإسلامية علينا أن نلقى نظرة إلى عهود ما قبل الإسلام حيث كانت المرأة تعيش أنواعا من الظلم والجور، مكسورة الجناح، ذليلة النفس، تقضي حياتها في متاهات الذل والاحتقار! وتعيش وضعا لايتفق مع آدميتها ولايليق بمكانتها . فنجد الإغريق يصنفونها ضمن المخلوقات الحقيرة، لاوظيفة لها سوى الانجاب، ورعاية شؤون البيت، تكره على الاستبضاع من غير زوجها، وعلى البغاء . حتى أن "ارسطو" صنفها ضمن العبيد واعتبرها كائنا ناقصا ضعيف الشخصية، مسلوب الإرادة . أكثر من ذلك جاء ترتيبها في كتاب الجمهورية :لأفلاطون" في وضع حقير حيث قال: "شجاعة الرجل في الأمر وشجاعة المرأة في تأدية الأعمال الوضيعة" كما أن التشريعات اليهودية وضعتها في مرتبة الخادمة، لأبيها الحق في بيعها . وجاءت في نصوص كتب اليهود بنود تعتبر المرأة متاع على صاحبه أن يستمتع به متى شاء وعند الرومان كانت مملوكة للرجل، يملكها أبوها، ثم زوجها، ثم أبناوها، ومن ملك شيئا يستطيع أن يتصرف به كما يشاء، وليس لها الحق في الإرث مبررين ذلك بقولهم: "من يرث هو من يحمي الديار ويدافع عن القبيلة، إنما المرأة هي في شؤون البيت ورعاية الأطفال فقط . وقد بالغ الرومان في احتقارهم للمرأة لدرجة أن أحد مجامعهم قرر: "أن المرأة لاروح لها ولاخلود، ويتحتم عليها العبادة وتلتزم بالخدمة، ويكم فوهها كالبعير والكلب العقور، حتى لاتستطيع الضحك ولا الكلام . كما أن الديانات الوثنية الهندية جعلتها في أحقر وضع وأخس مكانة، وكرست تبعيتها للرجل ومنعتها من حق التملك ونصت شرائعها على أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار، خير منها!

وظلت المرأة في مجتمع الجاهلية ترزح تحت ظلم كبير وتعسف مرير، فكانت محرومة من أهم الحقوق الأساسية، حق الحياة وحق الإرث . فولادة الأنثى في بعض القبائل العربية كانت تضفي على البيت جوا من الكآبة والحزن والعار، ولكي تتخلص من هذا العار تلجأ إلى وأدها . ولم تقف مهانة الجاهلية للمرأة عند حدود وأد البنات خوفا من الفضيحة، بل إلى صور أخرى حملت كلها معاني التعسف والظلم والقهر: نكاح الاستبضاع، البغاء، الشغار وغيرها من الأنكحة الباطلة التي لايثبت بها النسب .!

وجاء الإسلام فرفع مكانة المرأة ومنحها حقوقا إنسانية ومدنية واقتصادية واجتماعية لم تحظ بمثلها في شرع سماوي سابق، ولا في تشريع وضعي حيث أعطاها الإسلام الحق في الحياة، والحق في الميراث، والحق في التملك، وحرية التصرف في أموالها، والحق في إبداء رأيها في من تتخذه شريكا لحياتها، إلى جانب الحق في التعليم وغير ذلك من حقوق لم تحظ بها المرأة في كثير من المجتمعات العالمية المعاصرة!

لقد جعل الإسلام المرأة مسؤولة عن نفسها مسؤولية مستقلة عن الرجل، وذلك في ما يتعلق بشؤونها أمام الله تعالى، وجعل منزلتها في الثواب والعقاب معقودة بما يكون من طاعة أو مخالفة . فطاعة الرجل لاتنفعها وهي منحرفة .

فالمرأة تقف على قدم المساواة مع الرجل في كل ماجاءت به الشريعة الإسلامية اللهم إلا في مسائل محددة اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للنساء فيها حكم خاص . فكل فضيلة أمر بها الإسلام إلا والأمر بها متجه إلى المرأة بقدر ما هو متجه إلى الرجل وما من رذيلة نهى عنها الإسلام ، إلا ونهيه عنها يشمل المرأة والرجل . فالمرأة مسؤولة عن عملها مسؤولية خاصة، لايشفع لها في ذلك كونها أنثى . ومن أهم مسؤولياتها تجاه نفسها ألا تتبرج امتثالا لقول الله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهم إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن..."سورة النور، ومضمون الآية الكريمة انه لايجوز للمرأة أن تخرج بزينة جسدها لتتصدى للغواية بين الغرباء فما من عقل سليم يرى أن الشريعة الإسلامية تتخطى حدودها حين تعرض لمنع التبذل والغواية لأن الإسلام حرص على حراسة الأعراض والأخلاق.

فالأخطار التي تهدد المجتمعات التي تبيح الإختلاطيين الجنسين دون أية ضوابط وتحت شعار الحرية الزائفة قد أدركها الغربيون الذين لمسوا أضرار الإباحة المطلقة في مقابلات الجنسين، ولعلهم يدركون الحكمة في الاعتدال، ليدركوا أن أخطار الشهوات الجنسية تدخل في إطار الأعراض والأنساب التي صانتها الشريعة الإسلامية.

فمسؤولية المرأة أولا تبدأ حين تريد اختيار شريك حياتها، فكما طالب الإسلام الراغب في الزواج بأن يحسن اختيار شريكة حياته، طالب المرأة كذلك بأن تتعرف على أحوال من يريد الزواج بها، ليكون كل منهما على بينة من أمر الآخر، على أن يتم ذلك وفقا للمنهج الإسلامي.

وبعد الزواج تكون المرأة مسؤولة عن رعاية زوجها وأبنائها، ويجب على المرأة أن توفق بين الواجبين، فاهتمام المرأة بأحد الواجبين وإهمالها للواجب الآخر يرتب آثارا نفسية واجتماعية خطيرة!

لقد أرشد الإسلام إلى أن تتولى المرأة إرضاع طفلها من لبنها لقوله تعالى: "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة"سورة البقرة، فالطفل الرضيع أحوج مايكون إلى لبن أمه، فهو الغذاء الأمثل له لاسيما في الأشهر الأولى من النمو، وقد حملت الشريعة الإسلامية الأم مسؤولية تربية الطفل وجعلت عليها العبئ الأكبر في ذلك، خصوصا في مرحلة الطفولة، نظرا لما تتطلبه هذه المرحلة من معاناة وتحمل أعدت له المرأة أكثر مما أعد له الرجل، ولما تقتضيه من عاطفة فطرت عليها المرأة، وهذا جانب من رسالتها الاجتماعية المؤهلة لها بعد تحصيل العلم بما يساعدها على تحمل مسؤوليتها داخل الأسرة والمجتمع، ومن هنا نجد أن من مبادئ الإسلام أن تتساوى المرأة والرجل في شأن العلم وأن تتكافأ الفرص بينهما فيما يطيقان تعلما وتعليما، فقد قرر الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ونيف أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، كما أهاب بالمرأة أن تصل إلى ماتستطيع أن تصل إليه من المستويات العلمية العليا يقول تعالى : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" سورة المجادلة، ولقد أثبت المؤرخون كيف كانت المرأة في صدر الإسلام مرجعا للرجال والنساء على السواء في التفسير والحديث والفقه، ويكفي أن نذكر زوجة الرسول (ﷺ) أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)،

إن الذين يطالبون اليوم بحريات أكثر للمرأة إنما هي نتيجة حتمية لرواسب الفكر الدخيل على الأمة الإسلامية الذي أدى إلى حجب الرؤية الصحيحة لمبادئ الدين الإسلامي الحنيف إلى جانب غيبة الوعي الإسلامي المستنير في هذه المجتمعات، فقد أتاح الإسلام للمرأة الكثير من الحقوق ومنحها فرصة التعبير عن رأيها والدفاع عن حقوقها، وبالرغم من وجود غيوم قاتمة في بعض العقول والمجتمعات بحكم ماورثته من عهود التخلف، تقول الدكتورة زينب عصمت راشد رائدة تعليم البنات بالأزهر، فإن المرأة المسلمة مشرقا ومغربا تعيش عصرا من النهضة أتاح لها أن تبلغ مكانة عالية مستمدة من المكانة التي وفرها الإسلام للمرأة.

إن مدونة الأحوال الشخصية لسنة1957 أعدت بنودها لبلورة مشروع متكامل يحمي المرأة فعلا وتحافظ على كرامتها مرتكزة في ذلك على ما جاء به الشرع الحنيف وعلى آلية الاجتهاد والتوافق في الأمور التي لاتخالف قواعد الإسلام ، واللجنة آنذاك مكونة من فطاحل العلماء وقضاة أجلاء، ومايطالبن به اليوم من تعديلات تتعلق بمعضلة "التنفيذ" الذي تعاني منه قوانين الأسرة وتنظيم ميدان الأسرة، الشيء الذي يحتم على القاضي والعدل والوكيل الشرعي الإحاطة بالضوابط الشرعية التي تنظم الأسرة وتنفيذ أحكامها، فمدونة الأسرة والطفل تضمن للمرأة جميع حقوقها ستشمل آليات تطبيق النصوص مثل صندوق التكافل العائلي وأقسام قضاء الأسرة التي ستعزز الهيئات القضائية القائمة.

تتمة

إننا مع شعب العراق المسلم بالصلاة والدعاء والذكر وندعوه إلى الاندماج في هذه القوة الربانية التي جعلها الله بيد المسلمين يستعملونها عند الشدة حتى يخفف الله عنهم عنف الفتنة ، ويردهم إلى فضائه الواسع الذي لا حدود له، ولا سيطرة عليه من أحد، إنه فضاء الذكر الذي يعيد إلى القلوب طمأنينتها وهدوءها وسكونها حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

إننا أمة الإسلام آمنا بالله ورسوله إيمانا تمكن من قلوبنا واطمأنت إليه نفوسنا، فإذا جاءت فتن الزمن وأهواله وأخطاره، تطمئن قلوبنا بذكر الله وترتاح مع اسمه العظيم، وتجعل منه أنسا في الوحشة، واعتمادا مع الضعف ، ورجاء في المستقبل ، ونرجع إلى خشيته بعد القلق على الحالة، ونتذكر آلاءه ونعمه، التي لا تحصى فنزداد تعلقا بجلاله وعظمته وقدرته على كل شيء ، وإنه الفاعل لما يشاء، القادر على ما يريد.

نعود إلى ذكر الله لتطمئن قلوبنا وتستأنس نفوسنا وتسكن افئدتنا فنجد في عطاء الله، وفي قربنا إليه واطمئناننا إلى قضائه وقدره كامل الروح، والانشراح ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ونتوب إلى الله.

إننا نقرأ قول الله تعالى: « ومن يعش عن ذكر الله نقيض له شيطانا فهو له قرين» من الآية 26 من سورة الزخرف . فنتيقن بأن المسلمين ابتعدوا عن ذكر الله وعن الصلاة، وتركوا ما أمر الله به، وفعلوا ما نهى عنه، فقيض لهم الشيطان وعاث فيهم فسادا، غفلنا عن ذكر الله وهو القائل« فاذكروني أذكركم » فجاءنا بمن يقتلنا ويذبحنا ويشردنا ويسعى في أرض الإسلام بالفساد والعبث ، ويملك رقابنا وثروتنا وأبناءنا وبناتنا ، فوق أرض بغداد والبصرة والكوفة ، ونقول مع أهلها ورجالها ونسائها . "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به »

صدق الله العظيم

الوثاق

تفسير الرحمن الرحيم

للعلامة ابو عبد الله سيدي محمد جسوس 2/2

■ الأستاذ : إدريس كرم

قال الشيخ الإمام العلامة الهمام، خاتم المحققين أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم جسوس رحمه الله ورضي الله وأسكن من الجنان فسيحه أمين.

نحمدك اللهم على ما أكرمتنا به من العقل الذي هو مناط الحُكْم والحكَم، وشرفت به من العلم الذي هو أصل النعم، ونشكرك على ما أهديتَ له من توحيدك، فشهد به منا اللسان والقلب والقلم، ونثني عليك بما نصرت به على أهل النحل الضالة الذين زلَّت بهم في الاعتقادات القدم، وأيدت به جماعة أهل السنة من الحجج القاطعة فاستخرجت مذهبها من بين فرث ودم، ونصلي على نبيك محمد الذي فتحت الخلق بنوره، وختمت به ديوان الرسالة، ونسخت بشريعته أحكام الجهالة، ونصل الرضى عن آله وأصحابه الذين فرجت بهم عن الحنفية السمحاء سدَى الظلم، وأبديت شرف مزيتهم ومزية شرفهم كنار على علم وبعد:

قال البيضاوي: اسما مبينا للمبالغة من رحم، كالغضبان من غضب، والعليم من علم، بمعنى أنهما من أمثلة المبالغة لا ممن الصفات المشبهة، إذ لا مبالغة فيها وإنما هي دالة على الثبوت الذي هو مقابل الحدوث، واحتمال أنه أطلق المبالغة على الثبوت بعيد لادليل عليه.

وعلى هذا فلا حاجة إلى ماذكره الحطاب وغيره من ادعاء التحويل إلى فعُل بضم العين، أو تنزيل المتعدي منزلة اللازم، إلى أنه يرد أن يقال إن النحاة لم يعدوا فعلان من أمثلة المبالغة، فيقال يرد ذلك عليهم لأن أهل اللغة قالوا في نومان هو الكثير النوم، أو يقال ان استعمال فعلان تفيد الكثرة قليل، فكيف تخرج عليه البسملة والله أعلم.

تفسير الرحمة

قال الحطاب، واختلف في تفسير الرحمة، فقيل هي رقة وانعطاف، يقتضي التفضل والإحسان، ومنه الرحم لانعطافها على مافيها، وهي في حق الله تعالى مجاز عن الإنعام، قال الرازي: إذا وُصف الله تعالى بأمر، ولم يصح وصفه بمعناه يحمل على غاية ذلك، وهي على هذا القول من صفات الأفعال لا من صفات الذات، وقيل الرحمة إرادة الخير، فوصفه تعالى بها على هذا القول حقيقة، وهي حينئذ صفة ذات. قال الطيبي وكلا القولين منقول، وذكر السَّمين له في إعرابه القولين، وقال الظاهر الثاني، وذهب الزمخشري إلى الأول هـ.

❖❖❖

قال في التصريح كلام الصحاح نحو كلام الزمخشري، وقد تبع الزمخشري جماعة منهم البيضاوي، وابن عرفة، بل نقل عن ابن عرفة أنه قال، كل مجاز له حقيقة إلا هذا، يعني الرحمن، فإن الرحمة العطف، فهو مجاز لا حقيقة له هـ.

❖❖❖

ونسب بعضهم القول الثاني لابي الحسن الأشعري، والأول للقاضي أبي بكر الباقلاني، قال ومنشأ القولين أن من رحم شخصا أراد به الخير ثم فعله به، فالأول أخذ المجاز المقصود وهو الفعل، والثاني أخذ المقصود الأقرب، هـ.

فجعل الرحمة مجازا على كل من القولين هـ.

❖❖❖

ومما يتعين فيه القول الأول قوله تعالى: (هذا رحمة من ربي) إشارة إلى السند، وقوله تعالى: (وهب لنا من لدنك رحمة)، وقوله: (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا)، وقوله في الحديث القدسي: " أن رحمتي سبقت غضبي"، لأن السبقية لاتعقل إلابين الحواديث، ويحتمل أن معنى سبقت غلبت، قال المسناوي: أي غلبت عليه بكثرة آثارها، ألا ترى أن قسط الخلق من الرحمة أكثر من قسطهم من الغضب، لنيلهم إياها بلا استحقاق، ولأن التكليف مرفوع عنهم إلى البلوغ، ولأنه تعالى لايعجل عليم بالعقوبة إذا عصوه، بل يرزقهم ويقبل توبتهم.

وقوله في الحديث إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسكا عنده تسعا وتسعين رحمة، وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المومن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار، رواه البخاري عن أبي هريرة ورواه مسلم والامام أحمد في مسنده عن سلمان وابن ماجة عن أبي سعيد بلفظ أن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، وأخر تسعا وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة... قيل ومما يتعين فيه المعنى الثاني، قوله تعالى: (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)، فإن هذا ظاهر في معنى الإرادة، بدليل عطف قوله وعلما عليه، قيل وفيه نظر، وهو على القولين، إما مجاز مُرسلٌ من إطلاق السبب على المسبب أو الملزوم على اللازم، وإما استعارة تشبيه، بأن يشبه حاله تعالى بحال ملك عطف على رعيته، ورق لهم فعمهم معروفه، فاطلق عليه واريد غايته التي هي فعل وارادة فعل كما مَرَّ مبداه الذي هو انفعال.

❖❖❖

قال بعض المحققين، وحاول بعضهم قفلة حقيقية شرعية أو عربية لكثرة الإطلاق من دون قرينة، الرحمن أبلغ من الرحيم قياسا، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا، كقطع وقطع سماعا باعتبار الكيفية، ولذلك قيل يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأنه يعم المومن والكافر، ورحيم الآخرة لأنه يخص المومن، وباعتبار الكيفية.

وعليه قيل يارحمن الدنيا والآخرة وريحم الدنيا، لأن النعم الأخروية كلها عظيمة، وأمانعم الدنيا فمنها العظيمة ومنها مالا، أي لا ليس بعظيم ، فهو يستعمل تارة للكثرة في الكمية كما في الوجه الأول، وتارة للكثرة في الكيفية كما في الوجه الثاني.

فإن كان مستعملا في البسملة على الوجه الأول ففائدة ذكر الرحيم بعد الرحمن، ووجه الترتيب بينهما مع أن ذكر الرحيم بعد الرحمن كذكر البعض بعد الكل، بيان الاعتناء بشأن المومنين، وتحقيق شمول الرحمة لهم بتكرير مايدل على رحمتهم، أو أن نعم الدنيا لما كانت سابقة قدم مايدل عليها، وإن كان مستعملا على الوجه الثاني، فوجه الترتيب بينهما مع أن القياس يقتضي الترقي، كما يقال عالم نحرير، وجواد فياض.

❖❖❖

الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها، ذكر بعده الرحيم، ليتناول مالطف ودق منها، فهو من باب التتميم وهو تقييد الكلام بتابع يعيد مبالغة، قاله الزمخشري، وقيل الرحيم أبلغ من الرحمن، لأن فعيلا من الصفات الغريزية ككريم وشريف بخلاف فعلان كغضبان وسكران، فهو للأمور العارضة.

وعليه فوجه الترتيب ظاهرٌ، وضعَّفه السعد بأن ذلك ليس من صيغة فعيل بل من باب فعُل بالضم، وقيل كل منهما خاص يشيء نفسي.

❖❖❖

فالرحمن اسم مقتضى لإيجاد الخلق، فلذلك لايتسنى غير الحق، ومن تسمى به هلك، والرحيم مقتضى لامداه الخلق بقوام وجودهم ويجوز إطلاقه على المخلوق لأن الاحداد يصح في حقهم، ولذلك وجب تنكرهم على ماوصل منهم، وهذا والله أعلم معنى قول من قال الرحمن المنعم بما لا يتصور جنسه من العباد، والرحيم المنعم بما يتصور منهم، ويدل لهذا القول ماورد في دعاء قضاء الدين بلفض، اللهم فارج الهم، كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين، رحمان الدنيا والاخرة، أنت ترحمني ، فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك، رواه الترميذي والحاكم في المستدرك.

ووجه الترتيب بينهما على هذا القول والله أعلم، أنه صار كالعلم من حيث أنه لايوصف به غيره تعالى فأخرت الصفة وقدم الحكم ووُسِّط ماهو كالواسطة بل قيل أنه علمٌ ويصلح هذا توجيها للترتيب المذكور على القول الأول أيضا.

❖❖❖

واذا علمت ماتقدم، تحَصَّل لك أن معنى البسملة، أنه لايستحق أن يستعان أو يتبرك إلا بذكر أسماء الله، أي الذات الذي هو واجب الوجود، المعبود الحقيقي، مولى النعم كلها عاجلها وآجلها، جليلها ودقيقها فضلا منه ورحمة.

❖❖❖

وبهذا تعلم أن البسملة تدل على أن المستعان به هو من له هذا الفضل العظيم وهو المنعم بإيجاد كل موجود، وبإمداد كل موجود، ما دام له وجوده، وإلى هذا أشار في الحكم بقوله نعمتان ماخلا موجودٌ عنهما، ولابد لكل مُلَوَّن منهما، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، ومن عرف أنه تعالى الرحمن الرحيم لاغيره أنتج له لزُم الافتقار وداوام الاضطرار، في جميع الحالات، وعموم اللحظات، كما قال القائل:

إني إليك مع الأنفاس محتاجا
لو أن في مفر قي الاكليل والتاج

لتحققه بأنه هو المنعم لاغيره، وانه المنعم بكل انعام في الدنيا والآخرة.

❖❖❖

وفي اختصاص البسملة بصفتين الرحمن الرحيم اشارة إلى سبق الرحمة وغلبتها على أضدادها، وعدم انقطاعها رأفة ورحمة، فكونها ملاصقة لإسم الذات، دل على السبق، وأنها بمنزلة الذات وتكرارها دل على الغلبة، وعدم الانقطاع، وفي ذلك حظ للعبد على التخلق بالرحمة،ومن أراد أن يرحمه الله فليرحم عباد الله ، كما يرحم نفسه، وقد ورد في الحديث إنما يرحم الله من عباده الرحماء، ومانزعت الرحمة إلا من شقي، والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي (رضي الله عنه)، أرحم الناس بالناس، من يرحم من لايرحم نفسه هـ. وفي الجمع بينهما إشارة لطيفة إلى أن العبد كما قرن بينهما لفظا، ينبغي له أن لايتناول من نعيم الدنيا إلا ما يكون معينا له نعيم الأخرة، ولايكون له قاطعا عنها، ففي الجمع بينها لفظا تعليم للزهد في الدنيا الذي هو أساس كل خير والله أعلم.

يتبع

في ظلال الحديث

نص الحديث:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" متفق عليه.

الحديث الثاني والستون:ذهاب العلم بموت العلماء

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ج1/ص50/ح100 ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ج4/ص2058/ح2673، وابن حبان في صحيحه ج10/ص433/ح4571، والترمذي في سننه في العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم، ج5/ص31/ح2652. وابن ماجه في سننه، في المقدمة، باب اجتناب الرأي في القياس، ج1/ص20/522. وابن حنبل في سنده المكثرين، باب سند عبد الله بن عمر بن العاص ج2/ص162/ح6511وج2/ص190/ح6787 والدارمي في سننه، في المقدمة، باب في ذهاب العلم ج1/ص89/ح239. وآخرجه آخرون غيرهم.

سند الحديث:

هذا الحديث من رواية البخاري قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول، وذكر الحديث، وهذه ترجمة مختصرة لرجال السند:

إسماعيل بن أبي أويس: هو أبو عبد الله إسماعيل بن أبي أويس عبد الله بن أويس الأصبحي، من كبار الأتباع، قال عنه أحمد:لابأس به، وضعفه يحيى بن معين والنسائي وقال: ضعيف ليس بثقة، وحجة القول فيه ماقاله أبو حاتم الرازي، مغفل محله الصدق، توفي سنة 226هـ.

مالك: هو أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الفقهاء الأعلام الأربعة الذين أخذت عنهم الأمة (أهل السنة) دينها، ولد في المدينة سنة 93هـ، شغله الفقه والحديث والعلم عموما ولم يزل بالمدينة يضيئها بما يسر الله من نور العلم، إلى أن وافاه الأجل سنة 197هـ، ولا أراني محتاجا أن أذكر كلام العلماء فيه، إلا أني أعجبني كلام اثنين من عظماء هذه الأمة، قال عنه الشافعي: مالك حجة الله على خلقه، وقال أحمد: مالك أثبت في كل شيء.

هشام بن عروة: هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، من الصغرى من التابعين، ولد بالمدينة وتوفي ببغداد سنة 145هـ، قال عنه محمد بن سعد: ثقة ثبت حجة، وقال أبو حاتم الرازي: ثقة إمام في الحديث، وقال ابن حبان: متقن حافظ.

عن أبيه: هو أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام، الأسدي، المدني، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، وأحد علماء التابعين، روى عن أبيه وأمه، وعن خالته عائشة أم المومنين، وعن علي ومحمد بن مسلمة وأبي هريرة، قال عنه ابن سعد: ثقة كثير الحديث، فقيه عالم ثبت مأمون، كان يقرأ كل ليلة ربع القرآن، مات وهو صائم سنة 92هـ.

عبد الله بن عمرو بن العاص: هو أبو محمد عبد الله بن عمرو، بن العاص (رضي الله عنهما)، من فضلاء الصحابة وعلمائهم وزهادهم وعبادهم، يصوم النهار ويقوم الليل، وكان من أكثر الناس أخذا للحديث والعلم عن رسول الله (ﷺ)، وقد عمي آخر عمره، وكان مع أبيه إلى أن توفي أبوه بمصر، ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى مكة ومات بها سنة 65هـ، عن 72 سنة، وروى عنه (ﷺ) 700 حديثا.

أهمية الحديث:

هذا حديث ذو شأن عظيم، يبين فيه النبي (ﷺ)، مكانة العلماء، وأنهم صمام الأمان للأمة، وينابيع فضل وخير، وحث على تعلم العلم النافع لتكثير سوادهم، ورحيل العلماء، بالإضافة إلى أنه فاجعة ومصيبة، يحدث زوال العلم، وبروز رؤساء جهلة يفتون بغير علم فيهلكون ويهلكون.

مفردات الحديث:

"لايقبض":أي لايرفعه.

"انتزاعا": من النزع وهو الجذب والقلع، والانتزاع هو الأخذ بشدة.

"يقبض": القبض، الموت.

"يقبض العلماء": بموتهم.

"رءوسا": جمع رأس، وفي رواية رؤساء، جمع رئيس أي زعيم.

المعنى العام:

1. العلماء أمان للناس في الأرض:

منذ أن أكرم الله هذه الأمة ببعثة نبيه محمد (ﷺ) وأفواج الدعاة والمصلحين والمجددين يتعاقبون فيها، علماء مخلصون، ومربون ربانيون من خلفاء رسول الله (ﷺ) الراشدين، وورثته من العلماء العاملين داعين إلى الحق، حاكمين بالقسط، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، وباذلين في سبيل الدعوة إلى الله ونصرة دينه كل غال ونفيس.

وإن العناية بسيرهم، والتذكير بهم وهم مصابيح الهدى التي أضاءت الطريق، بل حولت مجرى التاريخ في ديارها، وأورثت تحولات فكرية كبرى في عقولها إن ذلك مما يجب أن تنصرف إليه الهمم، ويعتني به الموجهون، ويذكر به المذكرون.

يقول الله جل وعلا: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" إن ممن رفعهم الله أهل العلم العاملين الذين هم أركان الشريعة وأمناء الله في خلقه، وأمان للناس في الأرض، فهم ورثة الأنبياء وقرة عين الأولياء وبهم تحفظ الملة وتقوم الشريعة، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الضالين، فلله درهم وعليه أجرهم ما أحسن أثرهم وأجمل ذكرهم، رفعهم الله بالعلم وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام والحق من الباطل، حياتهم غنيمة وموتهم مصيبة، يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل، جميع الخلق إلى علمهم محتاج، هم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا.

2. حقوق العلماء الربانيين على الأمة:

إن الله تعالى قد فرض لأهل العلم الراسخين والأئمة المرضيين حقوقا واجبة وفروضا لازمة من أهمها محبتهم وموالاتهم وذلك أنه يجب على المؤمن محبة المؤمنين وموالاتهم فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض قال ابن تيمية رحمه الله:" فيجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله، موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء"ا.هـ.

فحب أهل العلم والدين قربة وطاعة فإذا رأيتم الرجل يذكر أهل العلم بالجميل ويحييهم ويقتدي بهم فأملوا فيه الخير، هم القوة لايشقى بهم جليسهم.

وبهذه المناسبة (مناسبة توفيق الله تعالى لشرح هذه الحديث، ومناسبة وفاة العلامة الفقيه المحدث سيدي إبراهيم بن الصديق تغمده الله برحمته الواسعة)، قلت بهذه المناسبة، نشهد الله رب العزة، أننا نحب كل العلماء الربانيين المخلصين من هذه الأمة، ولانستثني منهم أحدا، نسأله تعالى أن يحفظ ويسدد الأحياء منهم، ويتغمد من مات منهم برحمته الواسعة، وأن يسكنهم فسيح جناته.

ومن حقوق أهل العلم: احترامهم وتوقيرهم وإجلالهم لأنه من إجلال الله تعالى وتوقيره.

ومن حقوقهم: الذب عن أعراضهم وعدم الطعن فيهم فإن الطعن في العلماء العالمين والأئمة المهديين طعن في الشريعة والدين وإيذاء لأولياء الله الصالحين، ومجلبة لغضب الله رب العاملين الذي قال: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)رواه البخاري.

ومن حقوق علماء الشريعة حفظة الملة: طاعتهم فيما يأمرون من الدين فإن الله تعالى قد أمر بطاعتهم في محكم التنزيل يقول جل وعلا "يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" وأولوا الأمر هم العلماء بالشرع والأمراء في الخلق فالعلماء يطاعون فيما يرجع إليهم من العلم والدين، ومن ذلك الرجوع إليهم فيما يشكل على الناس من أمر الدين، قال جل وعلا: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون" سورة الأنبياء/الآية:7.

فإلى العلماء الرجوع عند التباس الأمر وخفائه، فما حكموا به فهو المقبول المسموع إذ أن كتاب الله عدتهم والسنة حجتهم ورسول الله (ﷺ) قدوتهم.

وإن نفع العالم يزداد أثره ويعظم عندما يحيط به الناس ويجتمعون حوله وينتفعون بعلمه، والعالم الحق المحبب إلى الناس هو من لايعيش في برج عاجي مرتفع عن الناس وقضاياهم بل هو رجل العامة المحبب إليهم المدافع عن قضاياهم، يخالطهم ويسعى في قضاء حوائجهم يسمع شكاياتهم ويصبر على التعامل معهم على كافة طبقاتهم وكثرة حاجاتهم، ينزل إلى عمق المجتمع فيعيش مع كل أفراده يسمع من كل ويسعى لكل.

3. الحث على طلب العلم لتكثير سواد العلماء:

وإنه لمن أوجب الواجبات على الأمة الإسلامية، أن تسطر من أولى أولوياتها، تكثير سوادهم، وزيادة أعدادهم، وخصوصا علماء الشريعة الذين أصبحوا في زماننا عملة نادرة، وكلما رحل واحد منهم نجد أنه ترك ثغرة لانكاد نسدها عبر سنين عديدة، فطلب العلم كما هو معلوم. وتحصيله وأخذه من أهله من أفضل القربات وأجل الطاعات، سيما في وقت فشا فيه الجهل بين الناس، وعظمت فيه الحاجة إلى العلماء الربانيين الذين يبلغون رسالات الله وشرائعه، فإذا قصرت منزلة أحدنا عن تحمل هذه الأمانة العظيمة فلا أقل من مجالسة أهل العلم والإفادة منهم، فإن صلاح القلوب في مجالستهم، وبقاؤهم بيننا علامة على بقية الخير والإيمان.

4. من ادعى العلم وأفتى الناس بغير علم أضر بنفسه وبالناس:

جاء في كتاب أعلام الموقعين مايلي: "ذكر أبو عبد الله بن بطة في كتابه في الخلع عن الإمام أحمد أنه قال: لاينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور. والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة. والثالثة: أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته. الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس.

الخامسة: معرفة الناس، وهذا مما يدل على جلالة أحمد ومحله من العلم والمعرفة، فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه"

وإن أخطر مايفعله بعض المتطاولين على العلم اليوم، أنهم تجدهم يفتون تقريبا في كل شيء ويجيبون على كل الأسئلة، والأخطر من ذلك يحللون ويحرمون، ويفسقون ويكفرون، ولم يخطر على بالهم في يوم من الأيام، أنه من نصب نفسه للفتيا قبل أوانه، فقد عرض نفسه لهوانه، وإن الهوان ليس هوان الدنيا فقط، بل هوان يوم القيامة، إنه عذاب النار لمن تجرأ على الله فأفتى بتحليل شيء قد حرمه الله وهو يعلم، أو تحريم شيء قد أحله الله تعالى وهو يعلم، وإن من مصائب الأمة أن يبرز فيها أمثال هؤلاء، نسأل الله تعالى ألا نكون منهم، آمين.

5. قلة العلم وذهاب العلماء من علامات الساعة:

فقد العلماء رفع للعلم، وقد أخبر بذلك (ﷺ) في الحديث الذي بين أيدينا، وقبض العلم درجات ثلاث:

الأولى: أن يقبض روح العلم وهو الخشوع، وقد دل على ذلك حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال كنا مع رسول الله (ﷺ) فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: "هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لايقدروا منه على شيء" فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا، فقال: "ثكلتك أمك يازياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم"قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت قلت ألا تسمع إلى مايقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعا (رواه الدارمي، ح/293).

وقد غاب أثر هذا العلم منذ وقت، بل صار الناس لايعدونه علما، فالوعظ والرقائق باب آخر غير باب العلم الذي هو سرد المسائل وأقوال الرجال. أما العلم في كتاب الله تبارك وتعالى فله أثره على القلوب والنفوس، قال تبارك وتعالى :(قل آمنوا به أو لاتؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا).

وقال عبد الأعلى التيمي: "من أوتي من العلم ما لايبكيه لخليق أن لايكون أوتي علما ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء، ثم قرأ القرآن :"إن الذين أوتوا العلم من قبله...الآية أخرجه الدارمي، ح/296.

وقال مالك رحمه الله : العلم والحكمة نور يهدي به الله من يشاء، وليس بكثرة المسائل (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، 156/1).

وقد كان (ﷺ) يعنى بذلك في تعليمه لأصحابه، فعن جندب بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: (كنا مع النبي (ﷺ) ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا (رواه ابن ماجة،ح/61).

والدرجة الثانية: قبض العلماء، وقد أخبر (ﷺ) بذلك في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) في قبض العلم، وقد سبق وأخبر (ﷺ) أن ذلك من أشراط الساعة فعن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ﷺ): "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا"رواه البخاري ومسلم.

وجاء في سير أعلام النبلاء عن هلال بن خباب قال: قلت لسعيد بن جبير : ماعلامة هلاك الناس؟قال: إذا مات علماؤهم.

وروى الدارمي عن الحسن قال: كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الإسلام لايسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

وعن أبي مسعود قال: "لايأتي عام إلا والذي بعد شر منه قالوا إنا فيه يأتي علينا العام يخصب والعام لايخصب فيه قال إني والله لا أعني خصبكم ولاجدبكم ولكن ذهاب العلم والعلماء قد كان قبلكم عمر فأروني العام مثله" (شعب الإيمان(268/2).

وروى ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى : "أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها (قال موت علمائها وفقهائها. وروى عن مجاهد قال إنه فسرها بموت العلماء (تفسير ابن جرير174/13).

والدرجة الثالثة: قبض القرآن في آخر الزمان: وقد أخبر عنه (ص) في قوله: "يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لايدري ماصيام ولا صلاة ولانسك ولاصدقة، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة يقولون: لاإله إلا الله فنحن نقولها" (رواه ابن ماجه(4049).

6. فقد العلماء مدعاة لتصدر الجهلة:

حين تفقد القيادات الدعوية والعلمية يتسع المجال لتصدر طائفة من الجهال، فيخوضون فيما لايحسنون، فيضلون ويضلون وهذا ما أخبر عنه (ﷺ) في قوله "فإذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

وفي هذا العصر اتسعت فرص الشهرة لمن ليس أهلا لها، فوسائل الإعلام تتيح وتصدر أي مغمور، وغلبة الجهل بالشرع وأحكامه تجعل الناس يصدقون من يسمعون، بل إن معايير الناس في الحكم على من يحمل العلم فيقبل قوله أو من هو دون ذلك، هذه المعايير ليست معايير موضوعية، بل هي معايير تتفق مع ثقافة عامة الناس وطريقة تفكيرهم، إن من يجيد الحديث عن بعض مشكلات الناس المعاصرة، ويتحدث لهم باللغة التي يفهمونها، وتتسم آراؤه بالتساهل أو (الإنفتاح والمرونة). كما يسمى اليوم. إن هذا الصنف هو الذي يجد له رواجا وقبولا بين الناس، حتى وإن كان لايحمل من العلم الشرعي الموروث أي رصيد.

فوائد الحديث

- العلماء أمان للناس في الأرض وينابيع فضل وخير.
- بشارة العلماء في إتمام فضل الله تعالى عليهم بعدم سلبهم ما أنعم به عليهم من العلم.
- الحث على طلب العلم، ليكثر العلماء وينعم الناس بهم بالاستفادة والتبصر في أمور دينهم.
- من ادعى العلم وأفتى الناس عن جهل، أضر بنفسه في الافتراء على الله تعالى بالكذب، وأضر بالناس لتلبيس الحق عليهم.
- التحذير من استفتاء الجاهلين أو الفتوى بغير علم:
- قلة العلم بالدين من علامات قرب القيامة.

حديث المنابر

المجاهدة..

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الاولى:

الحمد لله رب العالمين.. الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد الا إله إلا الله وحده لاشريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.. أما بعد، فياأيها المؤمنون الأبرار، يقول ربنا الحكيم العليم في كتابه الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين". يؤكد الله تعالى . وهو الحق وقوله الحق ووعده الحق . لعباده المؤمنين أن مجاهدتهم فيه، ليصلوا إليه ويتصلوا به، وأن كل مايلاقونه من متاعب، ومايتحملونه من شدائد وأهوال، لن يضيع هباء منثورا.. فستمتد إليهم يد الرحمن الرحيم اللطيف الخبير.. يد الرضى لتصب في نفوسهم الطمأنينة، وتمسح عن قلوبهم الحزن والشجن، وتذلل المصاعب، وتزيح عن طريقهم الأهوال والمخاوف، ويوضح لهم المسالك، ويمنحهم، بمحض فضله وكرمه النور الذي ينيرلهم حالك الظلمات، فيهتدون ويصعدون ويسمون ويرتفعون ويصلون ويتصلون.. ذلك جزاء الإحسان من الغفور الودود ذي العرش.. عز وجل.. الذي لايضيع أجر من أحسن عملا.. إنهم كانوا من المحسنين..."وإن الله مع المحسنين"...كانوا من المجاهدين..جاهدوا نزعات الشياطين من الإنس والجن.. جاهدوا أنفسهم فلم تسول لهم أمرا من أمور الشر.. ولم تأمرهم بأمر من أمور السوء.. جاهدوا أهواءهم فقاوموها..جاهدوا شهواتهم فكبتوها عن الحرام.. وصرفوا في الحلال.. جاهدوا نزعات غرائزهم فلم تنزع بهما إلى إفراط ولا إلى تفريط..جاهدوا أثرتهم وأنانيتهم فآثروا غيرهم من إخوانهم المؤمنين على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، ونزعوا ما في صدورهم من غل بعون الله وفضل منه.. فلم تعد قلوبهم وألسنتهم تردد في كل حين وعلى كل حال إلا ماعلمهم ربهم الكريم من صالح القول والدعاء: "ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم" وجاهدوا مع هذا كله وبعده أعداء الله تعالى من الكفار والمنافقين بالبنان واللسان والسنان.. جاهدوهم في سبيل الله لتبقى العليا دائما هي كلمة الله... فكان حقا على الله تعالى أن يبشرهم ويؤكد لهم البشرى : "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين".

أيها المؤمنون الأبرار، نحن اليوم على أثر أولئك البررة الكرام سائرون، نجاهد في الله حق جهاده بكل ماأوتينا من قوة، لانخشى في الله لومة لائم، ولا سطوة فاجر جبار ظالم.. فالمفسرون قد فسروا القول العلوي المقدس الكريم: "والذين جاهدوا فينا" فقالوا: "يعني الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين" ونحن . رغم كل نقائصنا وهفواتنا، ألسنا من أتباعه إلى يوم الدين؟ إذن فنحن أيضا إن جاهدنا في الله حق الجهاد.. جاهدنا أنفسنا أولا، وجاهدنا أعداء ربنا ثانيا، وذلك بإصلاح أخلاقنا وأحوالنا وتطهيرها من الرجس ومن الغل للذين آمنوا ثانيا.. إن جاهدنا في الله حق جهاده بكل هذا أو ببعضه . إذ لايكلف الله نفسا إلا وسعها، فإن الله تعالى الذي يجازي الإحسان بالإحسان، سينير أبصارنا وبصائرنا، ويهدي قلوبنا إلى طريق الخير والمحبة والفضيلة والسلام والعزة والرفعة والعلا في الدنيا.. وطريق النعيم والفوز والفلاح والرضوان في الأخرة..

أيها المؤمنون الأبرار، هذا كتاب الله لازال بين أيدينا، وفي قلوبنا تحفظه السطور والصدور، وهذه سنة الحبيب المصطفى (ﷺ) لازالت هي أيضا تحوطها وتحفظها السطور والصدور، أي أن سيدنا رسول الله (ﷺ) إن كان غائبا عنا شخصه الكريم، فهو لازال قائما بين ظهرانينا بما تركه فينا من الكتاب والحكمة... ولا زال فينا من يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار. ويتدبره ويتعلمه ويعلمه، ولازال فينا من يذب عن سنة رسول الله (ﷺ) ويدافع عنها ويطبقها في نفسه وأهله، ويسعى ويدعو بكل جهده إلى تطبيقها في المجتمع... إذن فنحن نعلم.. نعلم بكل تأكيد، ولاعذر لنا في الجهل والعياذ بالله.. فلم يبق علينا إلا أن نعمل بما نعلم.. وقد فسر بعض السادة العلماء من سلفنا الصالح هذا القول الكريم الحكيم: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين، فسروا ذلك بأنهم هم الذين يعملون، بما يعلمون فيهديهم الله لما لايعلمون..."وإن الله لمع المحسنين" قال الإمام الشعبي رحمه الله تعالى: "قال عيسى بن مريم عليه السلام: إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك...

أيها المؤمنون الأبرار، بعد أن عرفنا أن أساس المجاهدة المتين وركنها الركين هو جهاد النفس حتى لاتقع في معصية الله تعالى، فعلينا أن نعرف حق المعرفة أنفسنا، حتى نتمكن من مقاومتها والتغلب على شهواتها.. ونفس الإنسان تتقلب بين أربع مراتب بعضها فوق بعض، وكلما جاهد المؤمن نفسه تمكن من أن يعلو بها مرتبة أو درجة فوق التي كانت عليها.. ودرجات النفس أو مراتبها هي:

1. النفس الأمارة: وهي التي تأمر صاحبها بما لايرضي الله تعالى.. ولا قدرة له على عصيانها.. بل هي تأمر، ويطيع هو ، فإن عصاها انقلبت إلى:

2. النفس المسولة: وهي أقل كيدا وضررا من النفس الأمارة، ولكنها تسول وتزين لصاحبها المعاصي والرذائل، فإن استسلم لنزعاتها هوى... وإن قاومها وتغلب عليها انقلبت إلى:

3. النفس اللوامة: وهي النفس التي يبلغ صاحبها درجة من السمو في المجاهدة تجعلها عونا له، فإن وقع في إثم من الآثام من الكبائر واللمم الصغائر فإنها تلومه... فإن أطاعها ارتفعت إلى:

4. النفس المطمئنة: وهي نفس عباد الله المخلصين الذين صرف الله تعالى عنهم السوء.. وهي النفس التي ما جعل الله تعالى للشيطان على أصحابها من سبيل، فأجارهم عزوجل من كيده، وهي النفس التي يقول عزوجل في حقها: "ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي".

وكل أصحاب النفوس الثلاث الأولى يمكن أن يهووا ثم يرتفعوا... إلا أصحاب النفس الرابعة فهم في حصن حصين من رضوان الله تعالى يحميهم من الهوي والسقوط، ولايزيديهم بفضله وعونه إن شاء إلا عزا وعلوا ورفعه وقربا ووصولا واتصالا، لأنهم يجاهدون فيه فيهديهم سبله، ويبلغهم درجات المحسنين الذين تكرم عليهم بها، وبمعيته .. ومن كان الله معه فلن يضره إنس ولاجن..

أيها المؤمنون الأبرار، إن المجاهدين من سلفنا الصالح قد حددوا لنا بكل دقة درجات النفس.. وقد عرفنا أن المجاهدة بكل معانيها هي السبيل إلى الترقي بهذه النفس والسمو بها إلى أعلى عليين، وأن الانصياع للأهواء والشهوات والغرائز الدنيا ووساوس شياطين الإنس والجن هي السبيل إلى تدهورها إلى أسفل سافلين...

والإنسان في دنياه ينصاع ويستسلم لثلاثة، هي أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها، وهي كما يحددها ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (الفوائد):

1. تعلق القلب بغير الله...
2. طاعة القوة الغضبية...
3. طاعة القوة الشهوانية...

فمن يعلق قلبه بغير الله يكله الله تعالى إلى ماعلق به قلبه، وقد يمضي في الهوى والانحدار حتى يصل إلى هاوية الشرك والعياذ بالله فيتخذ مع الله إلها آخر... مع أنه في أول أمره كان متعلق القلب بماله، أو بجاهه، أو بمعشوق يعشقه، وأما مطيع القوة الغضبية فإنه يحسب نفسه شديدا قويا، من حيث إنه أضعف الضعفاء، وقد يمضي به استسلامه لغضبه إلى درجة قتل النفس التي حرم الله... وأما مطيع القوة الشهوانية، فإنه كالهيم لاتزداد . مهما شربت . إلا عطشا..فهو يشتعل شهوة.. ويميل معها حيث تميل به.. حتى تسقطه في كبيرة الدنيا، أو أشد فظاعة وهؤلاء والعياذ بالله... والجهاد في الله تعالى حق الجهاد هو مقاومة هذه الأصول الثلاثة للمعاصي أشد المقاومة...

فالمستسلم لها والعياذ بالله لايقع في إحداها ولاتناله عواقبها وحدها، بل إن كلا منها مؤدية إلى الأخرى... فتعلق القلب بغير الله يؤدي إلى الاستسلام لقوة الغضب في النفس، ثم إلى الاستسلام لقوة الشهوة.. والعكس في كل الحالات صحيح، إذ أن الاتجاه مفتوح بين جميع هذه الجهات والأصول الثلاثة للمعاصي..

والسبيل إلى تحصين النفس من كل هذه الموبقات الثلاث أو من بعضها هو المجاهدة في الله حق المجاهدة ، حتى يصبح المؤمن المجاهد من ذوي النفوس المطمئنة، أو على الأقل من ذوي النفوس اللوامة.. أي من المؤمنين الصالحين المحسنين المتمتعين بمعية الله تعالى، الذين تواتيهم أنفسهم على فعل الخير عفوا.. فإن لم تواتهم على الخير عفوا أكرهوها عليه إكراها حتى يصبح الخير والإحسان لها عادة مألوفة لاتستطيع التخلي عنها...

أيها المؤمنون الأبرار، إن خير المجاهدة هو جهاد النفس وأهوائها وشهواتها وأهوائها، وهو الجهاد الأكبر كما ورد عن رسول الله (ﷺ)... فالمؤمن إذا مال مع ماتتعلق به النفوس والقلوب من أهواء وشهوات انشغل بها عقله وقلبه.. ورانت على قلبه وغلفته بغلاف أسود يحجب كل نور.. فلا ينتفع صاحب هذا القلب بنصح ولا وعظ.. كما يقول الإمام إبن الجوزي رحمه الله تعالى.. بل إنه يحدثنا عن مقام المجاهدة العظيم: "والله ماصعد يوسف عليه السلام، ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام . أي مقام مجاهدة النفس . فبالله عليكم ياإخواني تأملوا حاله لو كان وافق هواه من كان يكون؟ فاللهم ياذا الجلال والإكرام أعنا على السمو والصعود، وارفع لنا لديك نجم اليمن والسعود، بحسن مجاهدتنا لأعدائك وأعدائنا.. وقبل هذا وبعده بحسن مجاهدتنا لأنفسنا وأهوائنا وشهواتنا ونزعاتنا الدنيا، ونزغات الشيطات الرجيم.. واهدنا لأقوم سبلك، وأنر لنا طرق الوصول إليك، والاتصال بك، والرضى منك عنا ومنا عنك ياأكرم الأكرمين.. ياغفور ياودود ياذا العرش يامجيد، يافعالا لما يريد... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين... والحمد لله رب العالمين...

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... الحمد لله الذي جعل مجاهدة النفس من أسباب فوز المؤمنين المحسنين في الدنيا والأخرة.. والحمد لله الذي جعل عظة المومنين وعبرتهم فيما يقع للمنهزمين المستسلمين لأعدائهم من أنفسهم بداخلهم، ومن الطامعين بخارج أرضهم، من خزي الدنيا وعذاب الأخرة.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا إمام المجاهدين في الله حق جهاده... سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم في سبل الجهاد والإحسان وقهر النفس والهوى والشيطان إلى يوم الدين.

أما بعد فيا أيها المؤمنون الأخيار الأبرار، إن لمجاهدة النفس طريقة عملية واضحة يمكن لأي مؤمن صادق حي النفس والقلب والضمير أن يسلكها ويصبر على مشاقها ليصل إلى الله ويتصل به معتصما بحبله المتين.. فيهديه الله تعالى سبله ويكون معه في كل حين وعلى كل حال.. في سيره إليه وكدحه ليلا قيه في أطهر حالات الطهر، وفي أنقى حالات النقاء، ولله الفضل والمنة من قبل ومن بعد على أن هدى إلى الإحسان ومن به...

وطريقة المجاهدة في الله لها عدة أركان حددها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، وحددوها، وهي: العزلة، والصمت، والسهر، والجوع. فأما العزلة فليس معناها أن يترهب المؤمن المجاهد فلا يخالط الناس المخالطة الصالحة النافعة له ولهم في الدين والدنيا.. فليس هذا مقصد الإسلام، ورسول الله (ﷺ) يؤكد: "المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف"(أحمد). ويزيد عليه الصلاة والسلام: "يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار"(الترمذي).. إنما المؤمن الذي يعتزل الكفر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، ويعتزل مجالس اللهو واللغو، بل حتى المجالس التي يتوقع ألا يذكر فيها الله، وإن ذكر فقد يذكر استهزاء أو بتهاون يحرجه.. وهذا رسول الله (ﷺ)يوصي سيدنا حذيفة بن اليمان إن أدركه زمن الفتن والأهواء: ".. تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قال: فإن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام؟ قال: "اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"(البخاري)

وأما الصمت فهو في اصطلاح الإسلام وعرفه يعني تهذيب اللسان من قول السوء والفحش: "من يضمن لي مابين لحييه (لسانه) ومابين فخذيه (فرجه)أضمن له الجنة"(أبو داود).. إن من أهم الأمور وأكدها في دين الله تعالى أن يحفظ المؤمن لسانه رغم ما قد يعانيه المجاهد لعدوه ونفسه من الصعوبة والعنت في ذلك... يحفظه ويضبطه ويلجمه فلا يقول شرا، بل حتى ولالغوا.. بل لا يقول إلا خيرا، ويقول (ﷺ): "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو ليصمت"(البخاري) وتعويد الإنسان المؤمن نفسه على الصمت إلا حين النطق بخير أو معروف، ركن هام من المجاهدة في الله تعالى، وبدونه لاتتم ولاتنجح هذه المجاهدة.. بل إن المؤمن المجاهد يعود نفسه على الصمت حتى عن كلمة المعروف والخير عند غير أهلها ممن يؤولها على غير وجهها الحق، ويستغلها أسوأ استغلال لصالح الشر والعدوان والإثم من أهل الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق...

وأما عن الجوع فيقول عليه الصلاة والسلام: "عليكم بالحزن فإنه مفتاح القلب، قالوا: يارسول الله، وكيف الحزن؟ قال: أحنفوا أنفسكم بالجوع وأظمئوها" (الطبراني) لأن الإنسان الذي لايعرف قلبه الحزن لنفسه وللناس على مايبتلون به يطغى ويغتر والعياذ بالله... وينادي (ﷺ) الشباب:"يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"(البخاري).. وهكذا نرى أن الجوع يكسر شر النفس وحدة الشهوة، ولكن على ألا يجيع الصائم نفسه بالنهار ليطلق لها العنان بالليل.. بل إن الجوع في عرف المؤمن لايقوم بالصوم فقط، بل باتخاذ الطعام وسيلة من وسائل حفظ الحياة للتمتع بها حق التمتع في ذكر الله وشكره وحسن عبادته.. وذلك بالأكل والشرب في غير أيام الصوم بالقدر الذي لايسقط الإنسان في الإسراف المحرم شرعا، ولا في التوسع المكروه الذي يدفع بالنفس إلى البطر وكفر النعمة وعدم مشاركة المحرومين آلامهم..

بقي (السهر) من أركان المجاهدة: وهو لايعني في عرف دين الله أكثر من أن يتحكم المؤمن في نومه.. بدون إفراط ولاتفريط.. فالمؤمن المجاهد لعدوه ونفسه وأهوائه يحافظ على صلاة الفجر في أوقاتها..جماعة إن لم يكن هناك مانع قاهر.. والمؤمن المجاهد لنفسه وشيطانه وأهوائه وشهواته يحافظ على القدر الذي يطيق من قيام الليل للتهجد والاستغفار بالأسحار، رغم مايبدو في ذلك لمن لم يتعوده بالتغلب على نفسه وأهوائه من الصعوبة في أول الأمر، وصدق الله العظيم: "إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا". وهذا رسول الله (ﷺ) يسأل: "يارسول الله، أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الأخر، ودبر الصلوات المكتوبات" ودائما يبقى أي عمل في الإسلام حسنة وسطى بين سيئتين تمحوهما، أي أنه توسط واعتدال بين إفراط وتفريط...والله الموفق والمعين.. وهذا وقت عصيب نعيشه وهو من أوقات الدعاء.. ونحن موقنون بأنه جل وعلا قريب سميع مجيب:

اللهم أعنا على مجاهدة أعدائنا فيك.. ومجاهدة أنفسنا بالخروج من شهواتنا وأهوائنا.. بالندم والألم والتوجع على زلاتنا وعثراتنا، وباستدراك مافاتنا مما به أمرتنا وعنه نهيتنا.. اللهم خلصنا من لذة الذنوب التي تستهوينا وتهوي بنا وتدفعنا إلى الشهوات والأهواء والذل في مواجهة عدوان الأعداء، والاستنامة إلى وساوس شياطين الإنس والجن.. اللهم قونا على البغاة.. وعلى عدم الاستهانة بأهل الغفلة والمعصية، حتى لانكون مثلهم، ولانقع فيما يقعون فيه..

الإسلام دين التسامح

■ إعداد الأستاذ: حسن اللويزي

الحلقة الأولى

1. تعريف التسامح والسماحة في الإسلام:

. السماحة لغة: تأتي للكرم والجود والسهولة والليونة والتذلل، والسمحة: القوس "مواتية والملة التي ليست فيها ضيق.

والتسميح: هو اليسر والسهولة والمسامحة: المساهلة والتسامح: التساهل، والمسمح: المتسع يقال: أسمحت الدابة: أي لانت بعد استصعاب، وعود سمح: لا عقدة فيه.

وهذه المعاني نفسها هي المقصودة بسماحة الإسلام، فالإسلام دين سمح أي متيسر، سهل جيد فيه سعة، ولا أثر فيه للتعقيد، إنما كله سهولة وليونة في الدخول فيه وفي تناوله وفي تصوراته وعبادته وأحكامه وأخلاقه.

2. الإسلام دين التسامح

إن الإسلام هو السباق إلى التسامح والمتفرد به من بين سائر الأديان السماوية (المحرفة) والمذاهب الفكرية.

إذا كانت لفظة (التسامح) لم يظهر رواجها في الثقافة الإسلامية إلا في الوقت المعاصر، حيث وفد علينا من الغرب ببروز عامل القوميات والوطنيات والقطريات والجاليات في أوروبا لضبط أسلوب التعامل مع مختلف الجاليات في القطر الواحد، والتسامح في الإسلام مبدأ يهيمن ويعالج جوانب متعددة من الحياة الدينية والدنيوية، ويتسم بالشمولية.

فسماحة الإسلام تتعايش مع الجميع، أي جميع الأمم والشعوب أقليات وأكثريات.

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية وصف هذا الدين بالحنفية السمحة وهي المعنى الأصيل والسائد عندنا في الاستعمال وهي المساواة والعدل والقسط والرحمة قال تعالى في سورة البقرة: "وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين"الآية:135.

وقال في سورة الأنعام:" قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين".الآية:161.

وروي عن ابن عباس وعائشة وأبي أمامة قول الرسول (ص) أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.

فالحنف يعني الميل عن النوازع أو الجوانب من المنعرجات والمنعطفات التي اتخذتها الشيع لما توزعت الذين فرقوا دينهم، وهذا الميل لايتأتى إلا بالتزام الاستقامة في الصراط المستقيم، الدين القيم الحنيف، والذي أمر رسول الله (ﷺ) قولا وفعلا تبيانا لبراءة الإسلام من التفريق والإنقسام إلى شيع، فالجوانب التي كانت تتنازع المسلمين كاليهودية والنصرانية والوثنية وبقايا مشوشة مما كان يعتبر عندئذ دين إبراهيم، والشريعة الإسلامية مائلة عن كل هذه الجوانب.

ولم يقتصر رسول (ﷺ) عن وصف الإسلام بالحنيفية بل وصفه، أيضا، بالسمحة وكلا الوصفين مؤنث فهو صراط مستقيم وهي الطريق (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) سورة البقرة/الآية:138.

وقد تكرر وصف الإسلام بأنه ملة سواء نسب إلى إبراهيم أو إلى رسول الله (ﷺ) والملة هي السنة والطريق.

ونعني هنا بالسماحة غير ما يعني لفظ التسامح بمعنى أن الإسلام دين اليسر لقوله تعالى: "لايكلف الله نفسا إلا وسعها. وقوله": يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر".

وهنا يتسم مع كونه دين الفطرة التي يترتب على مفهومها أن تفرض التكاليف ما ليس في حدود المستطاع، وقال (ﷺ) إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ومن أشهر أقوال مالك (رحمه الله) دين الله يسر.

ومن هنا كان الحج على من استطاع والتيمم يعوض عند الضرورة الوضوء والطهارة الكبرى، والصلاة جلوسا لا ضير فيها عند الضرورة، والإيماء في الصلاة كافيا عند تعذر إتيانها حسب قواعدها، وتقصير الصلاة في السفر رخصة، وإفطار رمضان فيه رخصة المرض أو السفر، وفدية الإطعام تعوض الصوم عند العجزة والمسنين ومن يتحملون الصيام بصعوبة ومشقة.

والقاعدة الفقهية: أن المشقة تجلب التيسير.

وحث رسول الله (ﷺ) على عدم إطالة الصلاة بقراءة السور الطوال لأن وراءكم الضعيف والمريض وذا الحاجة "أفتان يامعاذ" والترغيب في إتيان الرخص التي سهل الله بها تكاليف العباد لقوله (ﷺ) إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه."فلا غلو في هذا الدين ولاتطرف، ولايصح لأي كان أن يكفر غيره بارتكابه إثما أو خطيئة في مغالاة مرفوضة، ولم تكتف الشريعة الإسلامية بحض المسلمين على تجنب التطرف والغلو بل توجه القرآن بنفس الخطاب إلى أهل الكتاب مصححا تعاملهم بدينهم قال تعالى:" ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم".

وهذه السماحة والوسطية من ضمن مايسر انتشار الإسلام عبر العالم في زمن قياسي، ومن بين ما يحافظ على صفاته وترسيخ جذوره في المجتمعات إلى اليوم، ومن المعلوم أن القرآن قد سبق النداءات الأممية بدعوته إلى التعايش السلمي الشامل الكامل بين سائر الشعوب يقول تعالى: "يأيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة" سورة البقرة/الآية:208. وقال": لاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين". وأكبر دليل على ذلك مسالمة الإسلام لحرية العبادات حيث قال تعالى:" لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" وقال أيضا:" وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر" (جامعة الصحوة حول التسامح).

الماسونية

■ إعداد الأستاذ: محمد الشرقاوي

الحلقة الثانية

■ بعدما تحدثنا عن مجموعة عبدة الشيطان وفندنا آراءهم بالحجة والبرهان من السنة والقرآن ، ثم تحدثنا عن البابية أو البهائية من خلال ما كتب عنهم في مرجع مبسط أومأنا إليه في آخر المقال وهو كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف في جزئه الثاني . هانحن أولاء نفتح نفس الكتاب شاكرين لمؤلفه أو مؤلفيه الذين أبوا إلا أن يخفوا أسماءهم ليكونوا الجنود المجهولين في معركة الشرف والكرامة ، ورد الاعتبار للقيم الأخلاقية القيمة وفق المنهج الصحيح الذي جاء به الدين الصحيح: الإسلام، (إن الدين عند الله الإسلام) الآية.

فماذا يقول لنا الكتاب عن هذه الجمعية " جمعية الماسونية " يبدأ أولا بتعريفها فيقول عنها: « الماسونية جمعية سرية يهودية يرجع تاريخها إلى العصر الروماني ، تأسست في مدينة أورشليم زمن الوالي « هيرودوس أغريبا» ملك اليهودية من سنة 37 إلى سنة 47 بعد الميلاد ، وهو حفيد الهيرودوس الكبير» الذي قتل أطفال بيت لحم ، خشية أن يكون فيهم المسيح الذي سيقضي على ملكه.

– وكان الغرض من تأسيسها مناهضة الدين المسيحي ، ثم تطور غرضها إلى مناهضة الأديان عامة، وإعادة مجد إسرائيل والعودة إلى أرض فلسطين.

– ثم عدل اسمها وظهرت بنشاطها في المحاربة ، وسميت « الجمعية الماسونية» أو البنائين الأحرار ، وكان ذلك سنة 1714 وشعارهم المثلث : والفرجار :

وأسسوا في بريطانيا أول محفل ماسوني، جعلوا شعاره : الحرية والإخاء والمساواة. وأصدروا في لندن قرارهم الذي يبين حقيقة أغراضهم ، وأهم بنوده ثلاث : المحافظة على اليهودية، ومحاربة الأديان عامة والكاثوليكية، بصفة خاصة والبند الثالث بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب.

– ثم تأسست لها محافل في أمريكا وغيرها.

– ومن أكبر شعاراتهم : الأديان تفرقنا والماسونية تجمعنا ، وقد اغتر بشعارها بعض المسلمين فانضم إليها.

– جاء في دائرة المعارف الماسونية الصادرة في فيلا دلفيا سنة 1906 : يجب أن يكون كل محفل رمزا لهيكل اليهود، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلا لملك اليهود، وكل ماسوني تجسيد للعامل اليهودي.

– وجاء في نشرة ماسونية صادرة في لندن سنة 1935: إن أمنيتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحرارا جنسيا، نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية، ولذلك أسسوا نوادي للعراة في دول كثير، وسعوا بكل وسيلة لتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على القيم الأخلاقية، وحتى لايفتضح أمرها ، وللحرص على انتشارها ، ظهرت الماسونية تحت عناوين مختلفة، وأنشأت فروعا متعددة ، منها : (البناى برث، والكيواني ، والليونيز، والإكستشانج، وشهود يهوه) ومنها أيضا :(الاتحاد والترقي ، ونادي القلم ، ونادي الصلبان الزاهرة) وكذلك (الروتاري).

– ويورد نفس المرجع (بيان للناس من الأزهر الشريف) نبذة تاريخية عن كل فرع من هذه الفروع الماسونية:

أولا : بناي برث أو أبناء العهد: أنشئت في نيويورك سنة 1843على نظام الماسونية، واقتصرت في قبول الأعضاء بمحافلها على اليهود ، ثم انتشرت فروعها في العالم كله، يقول (فوستردالاس) في حفل أقامته هذه المؤسسة في 8 ماي سنة 1956 :« إن مدينة الغرب قامت في أساسها على العقيدة اليهودية ، ولذلك يجب على الدول الغربية أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن المدنية في معقلها الحالي (إسرائيل).

ثانيا : الكيواني : أصل التسمية من الكلمة الهندية (كي – واني) ومعناها اعرف بنفسك كيف تجعل صوتك مسموعا. وفعلا عرف الماسونيون كيف يجعلون صوتهم مسموعا في دترويت بأمريكا، ورخص لهم في 21 يناير 1915 بولاية متجشان وفي سنة 1917 تأسس الاتحاد الوطني لأندية الكيواني بأمريكا.

ثالثا: الليونيز أي الأسود: أسسه أعني نادي الليونيز (ملفين جونس) وكان أول ناد في مدينة سانت أنطونيو تكساس سنة 1915.

وفي سنة 1917 ظهرت المنظمة العالمية لنوادي الليونيز إلى الوجود، وعقدت اجتماعاتها الأولى في شيكاغو، بالوطن الأم لنوادي الروتاري.

وفي الثاني من دجنبر 1985 دشن فندق شيراتون القاهرة أحدث ناد لسيدات الليونيز أطلق عليه اسم نادي سيدات ليونيز شمال القاهرة، ويحمل رقم 19 في قائمة نوادي الليونيز سيدات ورجال . وتم في حفل التدشين تسليم الإشارات والشهادات للمؤسسات البالغ عددها 27 مؤسسة. علما بأنه كان للماسونية محافل وجمعيات في مصر إلى أن صدر قرار وزارة الشؤون الإجتماعية بحلها في 18 أفريل سنة 1964 وهاهي ذي الماسونية ترجع إلى مصر باسم فرع من فروعها الليونيز في واضحة النهار.

رابعا : الاكستنشانج: تأسس ناديها في دترويت في 27 مارس 1916 بمساعي تاجر المجوهرات (تشارلس بركي). وفي غشت سنة 1917 عقد مؤتمرها الوطني الأول.

خامسا : شهود يهوه: مؤسسة يهودية ترتدي ثوبا مسيحيا أخذت اسم يهوه كما جاء في التوراة . تأسست في ولاية بنسلفانيا بأمريكا سنة 1884 ثم انتقلت إلى نيويورك سنة 1909، ومن طرق دعوتها اقتحام البيوت لإلقاء دروس دينية من التوراة ، وهي من أخطر الجمعيات اليهودية، لأنها تخدع الجماهير المسيحية الساذجة، وتدخل نبوءات التوراة المحرفة في النفوس بعودة اليهود إلى أرض الميعاد.

بتصرف من كتاب بيان للناس من الأزهر الشريف. الجزء الثاني

الخلق العظيم في الإسلام

■ إعداد الأستاذ : مصطفى غاني
خريج دار الحديث الحسنية - عضو المجلس العلمي لجهة الشاوية . ورديغة سطات

تمهيد:

إن المتأمل في نصوص الشريعة الإسلامية يلاحظ دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، فيجد دعوة إلى الصبر والإخلاص والصدق وغيرها من أمهات الأخلاق التي هي سبب في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. فالتحلي بهاته الأخلاق هي من سمات المؤمن الحق، المقبل على العمل الصالح، قال عز وجل:(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون) سورة النحل : الآية 97.

الصدق من الخلق العظيم:

وإن التحلي بالصدق لمن الأعمال التي تجعل الإنسان يرتقي في مدارج الكمال، ويقبل على متممات الإيمان. ولهذا فقد تحلى رسولنا الأمين بهذا الخلق العظيم قبل بعثته، فقدروى الإمام الترمذي عن عبد الله بن الحمساء قال: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم تذكرت بعد ثلاثة أيام فجئت فإذا هو في مكانه فقال : يافتى لقد شققت علي أنا ها هنا منذ ثلاث أنظرك) وهذا الخلق العظيم الذي تحلى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد تحلى به جده الأعلى سيدنا إسماعيل عليه السلام حتى أثنى عليه ربنا في كتابه الحكيم فقال وهو أصدق القائلين:

(واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) سورة مريم/ الآية 54.

الصدق في النصوص الشرعية:

إن المستقرئ للنصوص القرآنية يجد حديثا كثيرا عن هذا الخلق العظيم بصيغ متعددة ، فقد أمر الله به ودعا إلى التحلي به حيث قال عز وجل:(ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) سورة التوبة ، الآية :119 . وقد أثنى الله على المتحلين بالصدق فقال:(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) سورة الأحزاب / الآية 23. وقال تعالى: (والصادقين والصادقات) سورة الأحزاب / الآية 35، وقال عز من قائل: (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) سورة الزمر/ الآية 32.

وقد حث مولانا رسول الله على الصدق في أحاديث متعددة ، منها ما رواه الإمام مسلم عن النبي(ﷺ)، قال: (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ومازال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا).

الصدق في سلوك السلف الصالح:

إن الباحث في حياة سلفنا الصالح من الصحابة الكرام وغيرهم من أئمة العلم يجد نماذج سامية للتحلي بهذا الخلق العظيم اقتداء بالصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم. فقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت رضي الله عنه في سرية من تسعة أفراد فوقعوا في كمين نصبه لهم الكفار، وحاصروهم وأمروهم بالاستسلام ولهم الأمان، فاستسلم بعض من كان معه ، أما هو فأبى أن ينزل في ذمة كافر ، وقال : لقد عاهدت الله حين أسلمت أن لا أمس مشركا، ولا يمسني مشرك" ، وصمم على موقفه ، وقاتل بالسهام حتى قتل ، وحين أراد المشركون أن يحملوا جثته إلى مكة جاءت جماعة من الدبر (ذكور النحل) فأظلته فلم يستطيعوا الاقتراب منه فانصرفوا على أن يعودوا في الصباح ، وحين عادوا إليه وجدوا سيلا في الوادي قد حمل جثته بعيدا، ولم يعرف له مكان . فقيل في شأنه(ﷺ): « لقد صدق الله فصدقه الله، ولم يمسسه مشرك لا في حياته ولابعد مماته».

وروى الإمام البخاري رحمه الله تعالى أنه خرج يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه، وهو يشير إليها برداء كأن فيه شعيرا فجاءته فأخذها، فقال البخاري: (أكان معك شعير؟ فقال الرجل : لا ، ولكن أوهمتها : فقال البخاري : لا آخذ الحديث ممن يكذب على البهائم")

الصدق في أقوال علماء الأمة:

قال العلامة ابن القيم الجوزية في كتابه " طريق الهجرتين » إن صدق التأهب للقاء الله هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة والأحوال الإيمانية ومقامات السالكين إلى الله، ومنازل السائرين إليه من اليقظة والتوبة والإنابة والمحبة والرجاء والخشية والتفويض والتسليم وسائر أعمال القلوب والجوارح، فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله، والمفتاح بيد الفتاح العليم ، لاإله غيره ولا رب سواه»

ويقول " حجة الإسلام " الإمام الغزالي في كتابه" إحياء علوم الدين": «اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ست معان: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها. فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق».

1 - صدق اللسان: ويكون في الإخبار، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وقيل : في المعاريض مندوحة عن الكذب.

2 - صدق في النية والإرادة: ويرجع ذلك إلى الإخلاص ، وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى.

3 - صدق في العزم على العمل لله تعالى.

4- صدق في الوفاء بالعزم بتذليل العقبات.

5 . صدق في الأعمال حتى تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف به.

6 . الصدق في مقامات الدين كالخوف، والرجاء، والتعظيم، والزهد ، والرضا والتوكل والحب.

حاجة الإنسان المعاصر إلى الصدق:

فمن خلال النصوص القرآنية والحديثية، وسلوك السلف الصالح، وأقوال كبار العلماء، يتضح لنا قيمة الصدق وأهميته . وبالتالي يتجلى لنا حاجة الإنسان المعاصر لهذا الخلق العظيم ، فما ظهرت كثير من المفاسد الاجتماعية ، والفضائح المالية إلا لتخلي الإنسان المعاصر عن خلق الصدق. فالصدق من أسباب النجاح في هذه الحياة ، وهو من أسباب الطمأنينة والبركة والنجاة من كل مكروه.

ولذلك فعلى المصلحين أن يركزوا في دعوتهم على التحلي بهذا الخلق العظيم، وأن يذكروا المخاطبين بقول الرسول (ﷺ) ، في الحديث الذي رواه الترمذي (الصدق طمأنينة) ، وبقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه البخاري:(البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما) ، فما أصيبت العديد من الشركات بالإفلاس إلا بتخلي الكثير من الشركاء عن خلق الصدق.

وليعلم الصادق أن تحليه بهذا الخلق العظيم ينجيه من كل مكروه ، فقد حكي أن هاربا لجأ إلى أحد الصالحين وقال له: " أخفني عن طالبي " ، فقال له: " نم هنا" وألقى عليه حزمة من خوص ، فلما جاء طالبوه وسألوا عنه ، قال لهم:" هاه ذا تحت "الخوض" فظنوا أنه يسخر منهم فتركوه ، ونجا ببركة صدق الرجل الصالح.

وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه الحكيم : «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب».

غريب القرآن في ديوان العرب

■ إعداد الأستاذ: مصطفى أصبان

أنبأنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، وقد أحاط به أناس يسألونه عن تفسير القران فقال نافع بن الأزرق لنجدة ابن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يتجرأ على تفسير القرآن بمالا يعلم فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب.

قال ابن عباس سلاني عما بدا لكما فقال نافع أخبرني عن قوله تعالى :(جد ربنا) قال: عظمة ربنا وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ، أما سمعت قوم أمية بن أبي الصلت:

لك الحمد والنعماء والملك ربنا
فلاشيء أعلى منك جدا وأمجد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: (حميم آن) قال: الآني الذي انتهى طبخه وحره قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم أما سمعت قول: نابغة بني ذبيان:

ويخضب لحية غدرت وخانت
بأحمى من نجيع الجوف آن

قال: أخبرني عن قوله تعالى " سلقوكم بألسنة حداد» قال: الطعن باللسان ، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت قول الأعشى:

فيهم الخصب والسماحة والنجدة فيهم والخاطب المسلاق

قال: أخبرني عن قوله تعالى:« واكدى» قال: كدره بمنه ، قال: وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم أما سمعت قول الشاعر العربي :

أعطى قليلا ثم اكدى بمنه
ومن ينشر المعروف في الناس يحمد

قال أخبرني عن قوله تعالى: « لاوزر » قال الوزر معناه الملجأ قال: وهل نطقت العرب بذلك؟ قال: نعم أما سمعت قول : عمرو بن كلثوم

لعمرك ما أن له صخرة
لعمرك ما أن له من وزر

قال أخبرني عن قوله : « قضى نحبه» قال معناه أجله الذي قدرله، قال وهل نطقت العرب بذلك ؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد بن ربيعة

ألا تسألان المرء ماذا يحاول
أنحب فيقضى ، أم ضلال وباطل

قال أخبرني عن قوله تعالى: « يصدفون» قال معناه يعرضون عن الحق قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أبي سفيان:

عجبت لحلم الله فينا وقد بدا
له صدفنا عن كل حق منزل

قال أخبرني عن قوله تعالى: « فلا تاس» قال معناه لا تحزن، قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال :نعم، أما سمعت قول امرئ القيس.

وقوفا بها صحبي على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

يتبع

أولوا العزم من الرسل

موسى عليه السلام

■ الأستاذة: نبوية الناصري

أمر فرعون هامان ببناء الصرح، وأخذ يسوق أبناء بني إسرائيل ليسخرهم في بناء الصرح العالي ليصعد به فرعون إلى إله موسى حتى تم بناؤه في سبع سنين، وقد يسر الله تعالى هذا الأمر استدراجا له منه، فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض، فشق ذلك على موسى، فأوحى الله تعالى إليه: أن دعه ومايريد فإني مستدرجه وآخذه بغتة وإني مبطل كل ماعمله في ساعة واحدة.

قال الضحاك: بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألف ألف رجل. وكان أمر الله تعالى بهدم الصرح بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم أن حيلته لم تغن عنه شيئا فعزم على قتال موسى وقومه.

آيات الله على فرعون وقومه

لما كذبوا موسى: شاء الله تعالى أن يشدد على آل فرعون ابتلاءاً لهم وتخويفا، ولكي يصرفهم عن الكيد لموسى ومن آمن معه، وإثباتا لنبوة موسى وصدقه في الوقت نفسه.

قال تعالى : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)سورة الإسراء/الآية:101.قال المفسرون: هي العصا، واليد البيضاء، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، وفلق البحر.

جاء في سورة الأعراف: (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)الآية:133. لكن آل فرعون لم يدركوا بين كفرهم وظلمهم لعباد الله. وأخذتهم العزة بالإثم فاعتقدوا أن سحر موسى هو المسؤول عما أصابهم، فكانوا يطلبون من موسى أن يدعو الله لينقذهم مما هم فيه، ويعدونه في كل مرة بأنهم سيؤمنون بربه وبأنهم سيرسلون معه بني إسرائيل: (قالوا ياموسى أدع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل)سورة الأعراف/الآية:134.

وما أن ينكشف عنهم البلاء حتى ينقضون عهدهم ويعودون إلى ما كانوا عليه، قال تعالى :(فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون) سورة الأعراف/الآية:135.

لم يهتد المصريون ولم يَفُوا بعهودهم، بل على العكس من ذلك، خرج فرعون إلى قومه محاولا استخفافهم بإظهار مكانته وملكه داعيا إياهم إلى التأمل والتدبر وإجراء المقارنة بينه وبين موسى الفقير المهين في قومه وهذا مايحكيه القرآن الكريم على لسانه إذ يقول تعالى في سورة الزخرف: (ونادى فرعون في قومه، قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون، أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين، فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين، فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين، فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين). سورة الزخرف/الآيات:55.54.53.52.51.

يأس موسى من إيمان قوم فرعون:

بدا واضحا أن فرعون لن يؤمن لموسى، ولن يكف عن تعذيبه لبني إسرائيل ولن يكف عن استخفافه بقومه. هنالك دعا موسى وهارون على فرعون: (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك، ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون)سورة يونس/الآيتان: 88.89.

لم يكن قد آمن مع موسى فريق من قومه، وقد بين الله تعالى ذلك في سورة يونس: (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين)الآية:83.

خروج موسى وبني إسرائيل من مصر: كيف ومتى دخل الإسرائيليون مصر:

دخل يوسف الصديق عليه السلام مصر في عهد الأسرة السادسة عشرة في أيام الملك الفرعون الريان بن الوليد عام 1600 قبل الميلاد تقريبا.

ولما حدث القحط في مصر في عهد الأسرة السابعة عشرة أدخل يوسف أباه يعقوب الملقب بإسرائيل في القرآن الكريم وإخوته وأهله من بني إسرائيل حوالي عام 1573 قبل الميلاد، وكان عددهم 72 شخصا ما بين رجل وامرأة وطفل. وعاش بنو إسرائيل في مصر في نعمة تامة ورفاهة عيش تكريما ليوسف عزيز مصر وأمينها في ظل ملوك الأسرتين 17 و18، إلى أن جاء الملك رمسيس الثاني من الأسرة 19 فاضطهد الإسرائيليين لسببين:

1. خشية أن يكونوا حزبا ميالا لإعدائه الهكسوس الذين ظل يحاربهم أكثر من تسع سنين، ولاسيما فقد تكاثر عددهم إلى أن أصبحت لهم جالية كبيرة تشمل جزءا عظيما من مديرية الشرقية.
2. خوفه مما رآه في منامه ومافسره له المفسرون من أنه سيأتي من أصلاب بني إسرائيل ولد سيقضي عليه وعلى ملكه وسيغير دينه ودين قومه.

وقد ولد موسى في زمانه، وقد مات الملك رمسيس الثاني وجاء إبنه الملك مفتاح ليكمل رسالة أبيه في اضطهاد بني إسرائيل وفي عهده خرج موسى وبنو إسرائيل من مصر.

الخروج من مصر:

إنتهى الأمر، وأوحي إلى موسى أن يخرج من مصر مع بني إسرائيل، وأن يكون رحيلهم ليلا، بعد تدبير وتنظيم لأمر الرحيل. وأُخبِرَ أن فرعون سيتبعهم بجنده، وأمر أن يقوم بقومه إلى ساحل البحر (وهو في الغالب عند التقاء خليج السويس بمنطقة البحيرات).

وبلغت الأخبار فرعون أن موسى قد صحب قومه وخرج فأرسل أوامره في مدن المملكة لحشد جيش عظيم ليدرك موسى وقومه، فهدد وتوعد، قال تعالى : (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين، إن هؤلاء لشرذمة قليلون، وإنهم لنا لغائظون، وإنا لجميع حذرون)سورة الشعراء/الآيات:56.55.54.53.

جمع فرعون مليونا ونصف مليون من الجنود بأسلحتهم وعلى خيولهم وتبع موسى وبني إسرائيل، ووضع في المؤخرة هامان وبقي هو في المقدمة وساروا مسرعين. وبالقرب من البحر وعند طلوع الشمس تراءى الجمعان، قال تعالى : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون) سورة الشعراء/الآية:61قال موسى: (كلا إن معي ربي سيهدين) سورة الشعراء/الآية:62.

تأملات وخواطر

■ محمد الخضر الريسوني

ماهو الهدف الحقيقي لغزو العراق؟

كيف يمكن للسلم العالمي أن يصبح حقيقة مالم تتحقق عوامله في عالم يؤمن بالشرعية الدولية وحقوق الانسان ؟ وكيف يعيش عالمنا في أمن وسلام والدول الكبرى تنحر مبادئ الأمم المتحدة وتنقض على الشعوب الصغيرة بشريعة الغاب كما حدث أخيرا، مع شعب العراق الذي دام حصاره ثلاث عشر عاما، واتهام مسؤوليه ظلما وعدوانا بامتلاكهم أسلحة الدمار الشامل؟ وبهذه التهمة الجائرة دخل الغزاة إلى أرض العراق بعد تدميره بأفتك الأسلحة وبحثوا عن الأسلحة طولا وعرضا فلم يعثروا على شيء، ونسوا عمدا بأن إسرائيل الصهيونية هي وحدها التي تملك الترسانة العسكرية الرهيبة ، ومخزونها من أسلحة الدمار الشامل يشمل الأسلحة المحرمة دوليا ، كما يشمل مجموعة من الأسلحة الاستراتيجية والرؤوس النووية التي يزيد عددها على ثلاثمائة رأس، وقد بحت الأصوات في الماضي والحاضر على التنديد بهذا المخزون الهائل من السلاح الصهيوني ، وذهبت التحذيرات منه ادراج الرياح ، وبهذا السلاح تتم الجرائم والمجازر في فلسطين.

فإذا كان العالم، وإذا كانت هيئاته الرسمية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة، وإذا كانت الدول الكبرى تسعى حقا إلى جعل الشرق الأوسط منطقة آمنة، فإن أول الأسباب لتحقيق الأمن المنشود تفتيش الترسانة الصهيونية وتخليص مخزونها من السلاح الرهيب ، فهل يشهد العالم إجراءا دوليا يحقق هذه المعادلة أم أن الهيئات الدولية والدول الكبرى مازالت تكيل بمكيالين؟ لقد دخل الغزاة إلى بلد عربي إسلامي على إثر تهمة ظالمة، وليس هدفهم، فقط، احتلاله لسرقة نفطه ، وإنما هدفهم المهم، أيضا، الغزو الثقافي، وتعكف إدارة الغزاة على إعداد منهاج تعليمي جديد لمدارس العراق ومعاهده يستخدم في ستة آلاف مدرسة عراقية مع بدء العام الدراسي الجديد الذي يتوقع أن يبدأ في أكتوبر القادم ، يقدم فيه الغزاة برنامجا تعليميا خاليا من المظاهر الدينية والوطنية وليس بمستغرب ولا بعيد أن يطالبوا من موقع قوتهم الدول الإسلامية بحذف آيات من القرآن تتناول إفساد بني إسرائيل في الأرض أو حذف آيات من سورة البقرة. سيركز معدو المنهاج والبرامج التعليمية على تغيير طبيعة الأمثلة والنماذج وإبدالها بأمثلة عن التفاح والبرتقال، بدلا من أمثلة تمجد الوطنية والقتال والمعارك والأسلحة وتقول مصادر صحافية في واشنطون: إن إلغاء المنهاج التعليمي السابق وإبداله بآخر تعتبر جزءا من خطة أمريكية قد تثير الجدل، ويعتقد الكثير من المسؤولين في أمريكا أن البرنامج التعليمي الذي سيكون في أيدي الأطفال العراقيين مع بداية العام الجديد سيكون محاولة للتواصل مع الجيل العراقي الذي تربى على معاداة أمريكا.

إن غزو العراق واحتلاله يعتبر نكسة أليمة للعالمين العربي والإسلامي، ومع الألم بما حدث يمكننا أن نقول " رب ضارة نافعة" وكم في هذه النكسة من عبر ودروس ينبغي أن نعيها تماما، ولابد أن ندرك أن اختلال القيم الروحية الدينية من أسباب نكسة المسلمين ويصدق فينا قول الله: «نسوا الله فأنساهم » وكل شيء يهون ويمكن تعويضه إلا ضياع الروح وفقدان الإيمان، والبعد من الثقة بالله. وكم نحن اليوم في أمس الحاجة إلى إيمان قوي يكون، دائما، من أقوى الأسلحة التي تملك للدفاع عن أوطاننا المهددة بالغزو والاستعمار، والرجل المؤمن، دائما، يحمل قلبا أقوى من القنبلة الذرية، وعندما يدافع عن وطنه وعقيدته يحارب بعناد وعزيمة لايصيبها الوهن ، ولا يتسرب إليها الضعف لحظة واحدة، فخلال معركته المقدسة تكون الجنة هدفه، والنصر هو طريقه إليها، ومن أجل ذلك فهو يصنع المعجزات.

القراء المهتمون بآيات الأحكام

■ إعداد الأستاذ: محمد حمان

■ إذا كان عموم المثقفين المسلمين يلمون بالعلوم الإسلامية ، ويكلفون أنفسهم عناء البحث في قضايا الفقه والتشريع الإسلامي المأخوذة من مصادرها الأساسية التي يأتي في طليعتها كتاب الله ، فإن المنضوين منهم تحت لواء القراء يزيد اهتمامهم أكثر بهذه القضايا، ويعتبرون في الواقع من المسؤولين الرئيسيين عن الأمور الشرعية والفقهية، فلا تكاد تجد قارئا غير مشارك في العلوم الشرعية التي من ضمنها وعلى رأسها علم الفقه.

فما أكثر القراء الذين يعدون من كبار الفقهاء، ولهم مساهمات فعالة في خدمة الفقه الإسلامي ، فحتى القارئ المختص الذي جعل كل أو جل منتجاته العلمية في ميدان الإقراء لا يهمل المجال الفقهي، فهو عندما يتحدث عن القراءة الشاذة مثلا يربطها بالأحكام الفقهية، فيصرح ويبين ويعلن بأنها غير معمول بها في الميدان الفقهي لدى أغلبية الفقهاء ، ولا يجوز للمصلي أن يقرأ بها وحدها في الصلاة، ولاتعتبر حجة عند الجمهور في تشريع الأحكام وإن كانت تساعد في كثير من الأحيان على إيضاح الغامض الوارد في القراءات المتواترة.

فالقارئ الذي يفوه بمثل هذه الأقوال والتي تعد في حقيقتها أقوالا فقهية صميمية وأصيلة تنفذ إلى أعماق مايتناوله الفقهاء الكبار بالدرس والتمحيص يعتبر فقيها متضلعا وممارسا لجوهر المادة الفقهية.

على أن أمر الجمع بين القراءات والفقهيات ليس بمستغرب ، فهناك الكثير ممن يعتبرون قراء وفقهاء في نفس الوقت، وربما وجدنا من يتعدى الاختصاصين السابقين إلى اختصاصات علمية أخرى، فيضيف إلى معرفته للفقه والقراءات تفننه وبراعته في العلوم اللغوية والأصولية والحديثية والتاريخية ، فيقال عنه وعن أمثاله : فقيه وقارئ ولغوي وأصولي ومحدث ومؤرخ؛ ومثل هذه الأوصاف كانت تصدق على العدد العديد من علماء الإسلام القدماء الذين لم يكن يشغلهم شاغل عن تعلم مختلف العلوم.

فالتخصصات العلمية لم تكن بارزة في العهود القديمة بمقدار ماهي عليه في عصرنا الحالي الذي لا يسمح في الغالب بأن يتقدم ويبرع المثقف في أكثر من علم واحد ، نظرا لكثرة المشاغل والملاهي التي أصبح من يعيش في هذا العصر أسيرا لها. ولا يفلت من قبضتها إلا من رحمه الله ، ووفقه إلى وجهة الاشتغال بالعلم والمعرفة، ومكنه من الصمود في وجه التيارات المتعددة التي تجرف معها عشرات المثقفين ، وتحد من معرفتهم وتوسعهم العلمي.

وعلى أي حال إذا كان العثور على المثقف المختص في أكثر من أي علم أ مرا صعبا في الوقت الحاضر فإن القضية يمكن أن تعتبر عكسية بالنسبة لقدماء المثقفين، فجل علماء السلف الصالح تعددت اختصاصاتهم، وبرعوا في شتى العلوم والفنون حتى تلك التي لا ترتبط مع بعضها البعض بأية صلة من الصلات.

ورغم قساوة دهرنا علينا ، وصعوبة الظروف التي تحيط بنا فإننا لانعدم ونفقد بالمرة بعض النماذج والأمثلة لعلماء أجلاء أعانهم الله وهيأ لهم الأسباب حتى أصبحت لهم مشاركات مهمة وفعالة في علوم مختلفة، وخصوصا بالنسبة لما يتعلق بالعلوم الإسلامية المترابطة فيما بينها، إذ تتلاقى وتأخذ من بعضها البعض.

فحتى الآن ، ورغم ماتزخر به المجتمعات هنا وهناك من مغريات مادية ومشاغل جذابة ، يمكننا العثور على بعض المثقفين الذين جندوا أنفسهم للعلم والتعلم. وإن كانوا لا يمثلون إلا قلة قليلة من علوم المتعلمين في وقتنا الحاضر، إذ من المسلم به أنه يصعب على أي عالم مختص في القراءات أو الفقه أو الحديث أو السيرة أو غير ذلك أن يكتفي بتخصصه، وأن لايكون له أدنى اهتمام بالتخصصات الأخرى، وهو إن فعل يكون قد أساء إساءة بالغة إلى تخصصه الذي لا سبيل إلى تنميته إلا بتلاقيه مع ما يقاربه من التخصصات التي يستفيد منها في توسيع أفقه الفكري وعطائه العلمي.

وحتى يتضح حديثنا عن العلماء القراء الذين تعددت اهتماماتهم واختصاصاتهم وساهموا بالنصيب الأوفر في مجال البحث: آيات الأحكام الفقهية في القرآن نعطي مثالين : أحدهما عن القدماء، والثاني عن المحدثين.

وذلك بتقسيمنا لهذا المطلب الثاني إلى فرعين ، مختصين الأول منهما لتوضيح طريقة ابن العربي في كتابه أحكام القرآن ، على اعتبار أنه يمثل العهد القديم وجاعلين الفرع الثاني خاصا، ببيان المسلك الذي سلكه ابن عاشور في استخلاصه للأحكام الفقهية أثناء دراسته للنصوص القرآنية في تفسيره المسمى بالتحرير والتنوير باعتباره ممثلا لعصرنا الحاضر خير تمثيل.

صدور الجزء الجديد من كتاب " انبعاث أمة"

■ عبد الحق عزابي

■ صدر عن المطبعة الملكية القسم الثاني من الجزء السابع والأربعين من كتاب " انبعاث أمة" الذي يتضمن أنشطة وأعمال صاحب الجلالة الملك محمد السادس من يوليوز إلى غاية دجنبر 2002.

وتبلغ صفحات هذا القسم الثاني 560 صفحة ، وهو محلى بعدد من الوثائق المهورة بإمضاء جلالة الملك محمد السادس ومزين بعدد آخر من الصور التاريخية التي تسجل الأحداث المذكورة فيه.

ويشرف على هذا السجل الوثائقي الهام الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية، وهو بحق عمل أكاديمي في ميدان التوثيق للتاريخ المعاصر وسابقه في العالم العربي والإسلامي في هذا المضمار.

إن اهتمام الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور بفن الوثائق والتوثيق وخاصة التاريخ المعاصر منه مرده لتجربته الطويلة في استقراء الوثائق أزيد من خمسين سنة وما إخراجه وإشرافه على كتاب- انبعاث أمة- أزيد من 47 سنة هي رغبة منه في التركيز على كتابة التاريخ الحديث المبشر بمدرسة تاريخية مغربية جديدة تبعد الدارس والباحث من كل الانزلاقات التي تعترض سبيله مستقبلا وبتجربته الطويلة في ميدان التاريخ أصبح مومنا بأن البحث التاريخي المعاصر الدقيق والملموس وعلى المستوى الوطني بالأساس هو الكفيل بسد تلكم الثغرات التاريخية التي تلاحق كل باحث ودارس.

وبين الأمس واليوم أصبحت حوليات انبعاث أمة مرجعا لا يستغني عنه مؤرخ ولا سياسي ولا باحث ولا دارس من داخل المغرب وخارجه لأنها أصبحت الأداة الوحيدة لمعرفة النشاط الرسمي للبلاد ومادة غنية يمكن استغلالها في كثير من المواضيع سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية ولسهولة الاستفادة منها التي تكمن في ترتيب زمني (كرونولوجي) للأحداث بالتاريخين الهجري والميلادي مع ذكر مكان الحدث وهنا يكمن كذلك الاعتناء بالتوثيق.

إن هذه الموسوعة للأنشطة الملكية اليومية تضم خطبا وتصريحات مرتبطة بكل مظاهر الحياة السياسية في البلاد من افتتاح الدورات التشريعية واستقبال الهيئات السياسية والنقابية والمجالس الوزارية وخطب أخرى مرتبطة بأنشطة دولية كمؤتمرات القمة العربية والإسلامية ولجنة القدس والجمعية العامة للأمم المتحدة وخطب الأعياد الدينية والوطنية وظهائر تعيين أعضاء الحكومات ونصوص اتفاقيات دولية ونصوص دساتير وتدشينات وأحاديث دينية رمضانية وأحاديث صحافية وطنية ودولية وبرقيات وزيارات داخلية وخارجية مع صور فوتوغرافية تسجل للأحداث المذكورة مرفرقة بتعاليق عليها.

محمد السادس . ملك المغرب

انبعاث أمة

الجزء السابع والأربعون

القسم الثاني

1423 هـ . 2002 م

نشأة مدارس القراءات

■ إعداد الدكتور محمد المختار ولد اباه

■ وبعد توزيع المصاحف وما أثارت من نشاط في الكتابة والأداء، نشأت مدارس في الإقراء ارتكزت كل من منها على بعض القراء الصحابة معتمدة المصحف الذي أرسل إليها " إماما" في تثبيت النص القرآني : لأن كل واحد من هذه المصاحف ينقل رواية معينة تؤكدها مجموعة من قراء الصحابة والتابعين الذين استقروا في هؤلاء الأمصار وأشرفوا على تأسيس مدارس القراءات.

وإذا كان لكل مدرسة خصائص معينة نتيجة لاختلاف الروايات المقروءة في الرسم العثماني، أو بسبب التأثر بطبيعة الأداء بحروف القبائل العربية القاطنة في كل قطر، فإن هذه الخصائص لم تنل من وحدة نص التنزيل ، وإنما كانت رحمة وتوسيعا على الأمة، مصداقا لحديث الأحرف السبعة التي أنزل الله القرآن الكريم بها. وفي هذا الحديث أذن للناس أن يقرأوا منها ما تيسر ، وفي حدود احترام صحة التلقي وضوابط الرسم المجمع عليه ، وقواعد لغة التنزيل.

وسنعود في آخر هذه الخلفية إلى حديث الأحرف السبعة لنتبين ما يتضمنه من إرساء ثوابت أركان النص وأنواع متغيرات الأداء المقبولة ، لكننا قبل ذلك سوف نستعرض بإيجاز لمحات عن مدارس القراءات في الأمصار.

أ – مدرسة الحجاز

على رأس مدرسة المدينة، نجد أبيا بن كعب وزيدا بن ثابت الأنصاريين وقرأ على كليهما ابن عباس ، وأبو هريرة ، ثم عبد الله بن عياش المخزومي الذي قرأ على أبي وسمع من عمر بن الخطاب، وابن عياش، وهو الأستاذ الأول الذي تخرجت عليه مجموعة شيوخ القراءة في المدينة أمثال مولاه أبي جعفر ويزيد بن رومان ، وشيبة بن نصاح ومسلم بن جندب ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وهؤلاء هم الذين أخذ عنهم الإمام نافع بن عبد الرحمن القراءة المدنية.

وليس من المستبعد أن نقول إن المدرسة المكية تفرعت من مدرسة المدينة ، لترابطهما على مستوى قراء الصحابة ، لأن أول قارئ محترف في مكة هو عبد الله بن أبي السائب المخزومي الذي قرأ على أُبَيٍّ وروى عن عمر بن الخطاب وهو شيخ عبد الله بن كثير قارئ مكة ومجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ، وعن مجاهد أخذ بن محيصن وحميد بن قيس الأعرج.

ب – مدرسة الشام:

ثم تأسست في الشام المدرسة القرآنية على يد الصحابي الجليل عويمر بن زيد الأنصاري المشهور بأبي الدرداء، الذي كان قاضيا في دمشق، ومارس تدريس القرآن في حلقات منتظمة ، فكان من تلاميذته القراء الإمام عبد الله بن عامر اليحصبي ، الذي أخذ أيضا عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب الخليفة عثمان بن عفان.

ج – مدرسة البصرة

لقد ظلت البصرة منذ نشأتها ميدانا متميزا في الفكر والإبداع ، ولم تشذ عن هذا الاتجاه حتى في الدراسات القرآنية المفروض فيها أن تقوم على أسس الرواية فحسب ، ولذلك فإن مدرسة البصرة القرآنية ارتكزت على البحث في تسهيل سبل القراءة حسب ما نراه من عملهم في ضبط المصاحف ، وفي اختيار وجوه الأداء ، فنشأ عن ذلك أن إمام القراءة فيها، وهو أبو عمرو بن العلاء، لم يكتف بشيوخ بلده أمثال: يحيى بن يعمر العدواني أو نصر بن عاصم، فارتحل إلى الحجاز ليتثبت من روايته التي احتلت مكانتها بين القراءات السبع. ومن قراء البصرة الإمام الحسن بن أبي الحسن، غير أن قراءته اعتبرت من قبيل الشواذ، بالرغم من أنه اشتهر بفصاحته، وبأخذه عن حطان بن عبد الله الرقاشي صاحب أبي موسى الأشعري، كما لن تعتمد قراءة عبد الله بن إسحاق الحضرمي مع ما تحلى به من مهارة وتوثيق ، لكن اعتبرت قراءة حفيده يعقوب المعدود من القراء العشرة.

مدرسة الكوفة

لقد كان للكوفة حظ وافر في علم القراءات ، حيث أخذ قراؤها الأوائل عن الإمام علي ابن أبي طالب الذي اتخذها قاعدة أيام خلافته ، كما أقام بها في وقت مبكر سيد القراء عبد الله بن مسعود وعنهما أخذ أبو عبد الرحمن السلمي الذي اشتهر ببراعته في القراءة واحترافها، وعن ابن مسعود أخذ زر بن حبيش الأسدي ، والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان.

ومن نتائج وفرة الرواية في الكوفة ، أنها أخرجت ثلاثة من أئمة القراءة ، وهم عاصم بن أبي النجود ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وعلي بن حمزة الكسائي.

عن كتب تاريخ القراءات في المشرق والمغرب للدكتور محمد المختار ولد اباه.

في رحاب مدينة الزهراء...

■ الأستاذ: الطاهر العروسي

■ قعد الخليفة عبد الرحمن الناصر بمجلسه الفخم الكبير المشرف على مدينة الزهراء الأندلسية، وكان قد اعتزم الفصد في ذلك اليوم، وجاء الطبيب وهو يمسك بمبضع، وجس عضد الناصر ليقيس نبضات قلبه، وإذا بطائر يصعد على إناء ذهب بالمجلس وينشد:

أيها الفاصد رفقا بأمير المؤمنينا
إنما تفصد عرقا فيه روح العالمينا

وجعل الطائر يكرر المقطع مرة بعد مرة، فاستظرف الناصر هذه الالتفاتة وتساءل عن الذي يكون قد علم الطائر ولقنه، فقيل له : إن السيدة الكبرى مرجانة أم ولده ولي عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك، وأعدته لتلك المفاجأة السارة.

وقائع هذه الحادثة الطريفة جرت في مدينة الزهراء التي يتحدث التاريخ عن جمالها، وهندسة بنائها، وقد ازدادت بهاء وروعة سنة 329هـ عندما اكتمل بناء قناتها العجيبة الصنعة التي أجري فيها الماء العذب من جبل قرطبة إلى قصر الناعورة غربي قرطبة، وعلى جنباتها المعقودة كان يجري ماؤها بتدبير هندسي دقيق، فيصب في بركة عظيمة يطل عليها أسد عظيم الصورة، بديع الصنعة، مطلي بذهب إبريز، عيناه جوهرتان لهما وميض شديد، وجعل يمج الماء من فيه كما لو أنه شلال هادر.

ووقف عبد الرحمن الناصر في زهو، يتطلع مليا بإعجاب إلى إحدى منجزاته الكبرى بالزهراء، وإلى هذا المرمر المسنون، والنقوش البديعة، وفي ذلك يقول أبو مروان ابن حيان: ان مباني قصر الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية، جلب أكثرها من روما، وإن مصاريع أبوابها كانت تزيد على خمسة عشر ألف باب، وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه.

وتلفت الناصر في خيلاء إلى تماثيل الذهب الأحمر المرصعة بالدر النفيس وبهرته صورة أسد، وإلى جانبه صورة غزال وصورة تمساح، فيما تقابلهم صورة ثعبان، وعقاب وديك، وكان الماء يتدفق من أفواه هذه الحيوانات في إحكام عجيب...

وجاءت الوفود من كل مكان لتهنئ الناصر بإنجازه العظيم، وأقبل رسل ومبعوثو ملك الروم الأعظم صاحب القسطنطينية لتقديم التحية والتهاني، وقام الخطباء والشعراء ليتبادروا في الحديث والأنشاد، وتقدم الفقيه محمد بن عبد البر الكسيباني ليلقي خطبة بين يدي الخليفة، وكان يدعي من المقدرة على تأليف الكلام ماليس في وسع غيره، فلما قام يحاول التكلم بما رآه، بهره هول المقام وأبهة الخلافة، فلم يهتد إلى لفظة، بل غشي عليه، وسقط على الأرض، ثم قام بعده أبو علي البغدادي إسماعيل بن القاسم القالي صاحب "الأمالي والنوادر" وهو آنذاك ضيف الناصر الوافد عليه من بغداد، وأمير الكلام، وبحر اللغة.

وبعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه محمد (ﷺ) انقطع به القول، فوقف ساكتا مفكرا في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه.

في هذه اللحظات الرهيبة، والعيون شاخصة في انتظار ما قد يعبر عنه الخطباء من مشاعر تجاه منجزات الناصر قام القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء، فواصل افتتاح أبي علي لأول خطبته بكلام عجيب، وفصل مصيب، يسحه سحا كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي قائلا في خطبة بليغة:

احمدوا الله أيها الناس على آلائه، واسألوه المزيد من نعمائه فقد أصبحتم في خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة والسداد، وألهمه بخالص التوفيق إلى سبل الرشاد، أحسن الناس حالا، وأنعمهم بالا، وأعزهم قرارا، وأمنعهم دارا، وأكثفهم جمعا، وأجملهم صنعا لاتهاجون ولاتذاذون، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون، واستعينوا إصلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم والتزام الطاعة لخليفتكم، فإن من نزع يدا من الطاعة، وسعى في تفريق الجماعة، وفرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين".

كانت خطبة سعيد بن المنذر جامعة مانعة أثرت في الحاضرين والخليفة الناصر كان أشد الناس تعجبا، وسأل ولده وولي عهده الحكم عنه، فقال له: هو منذر بن سعيد البلوطي، فقال: والله لقد أحسن ماشاء، فلئن كان حبر خطبته هذه وأعدها حتى يتلافى الارتباك والوهن، فإنه لبديع من قدرته واحتياطه ولئن كان أتى بها على البديهة لوقته، إنه لأعجب وأعرب. ومما يتحدث به التاريخ عن منذر أنه خطب يوما، وأراد التواضع فكان من فصول خطبته: حتى متى وإلى متى أعظ غيري ولا أتعظ وأزجر، ولا أزدجر، أدل الطريق على المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين، كلا إن هذا لهوالبلاء المبين اللهم فرغني لما خلقتني له، ولاتشغلني بما تكفلت لي به ولاتحرمني وأنا أسألك، ولاتعذبني وأنا استغفرك ياأرحم الراحمين.

وفي الجامع الأعظم بالزهراء، وقف منذر خطيبا وواعظا، والخليفة يتأمله، وأطرق يستمع إلى تفريعه مبتدئا بقوله سبحانه: "أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون"الآية.

ومضى في ذم تشييد البنيان والاستغراق في زخرفته والاسراف في الانفاق. وعلم الخليفة أنه المقصود، وشعر بالندم، إلا أنه وجد على منذر بن سعيد، فشكا ذلك إلى ولده الحكم، وقال: والله لقد تعمد ني منذر بخطبته، وماعنى بها غيري فأسرف علي، وأفرط في تقريعي، ولم يحسن السياسة في وعظي، فزعزع قلبي، وكاد بعصاه يقرعني، واستشاط غيظا عليه، فأقسم ألا يصلي خلفه صلاة الجمعة، فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة، وبجانب الصلاة بالزهراء وقال له ولده الحكم: وما الذي يمنعك من عزل المنذر من الصلاة بك، واستبداله إذكرهته؟ فزجره وانتهره قائلا: أمثل منذر بن سعيد في خيره وفضله وعلمه لا أم لك . يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، وإني لأستحيي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه، ولكنه قد أحرجني، فأقسمت، ولوددت أني أجد سبيلا إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى.

إن أيام السرور التي عاشها عبد الرحمن الناصر في مدينة الزهراء لم تكن كثيرة، وقد وجد بخطه مكتوبا هذه العبارة:

إن أيام السرور التي عاشها عبد الرحمن الناصر في مدينة الزهراء لم تكن كثيرة، وقد وجد بخطه مكتوبا هذه العبارة:

أيام السرور التي صفت لي دون تكدير يوم كذا، من شهر كذا من سنة كذا.. وعدت تلك الأيام، فكانت أربعة عشر يوما.

لقد ملك عبد الرحمن الناصر خمسين سنة وسبعة أشهر.

نفحات من نسماته القدسية
محمد رسول الله والذين معه...

الجيل الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم

■ إعداد: أبو يس

الحلقة الثانية

لقد ربى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على عينه أعداد هائلة من الرجال والنساء بلغ عدد من حج منهم معه في آخر حياته المباركة حجة الوداع حوالي مائة ألف نسمة .. كلهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وسمعوا دعوته واقتدوا به وائتموا بسيرته.. ولكن التاريخ لم يحفظ لنا ممن ذكرت أسماؤهم وأحوالهم من هؤلاء الصحابة إلا حوالي عشرة آلاف صحابي كريم.. هؤلاء الصحابة الكرام عَرَفوا عن تصرف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه التصرف الكامل الأمثل في كل أحواله وأحيانه، وأستشهد بقول أحد المستشرقين (باستور سميث) وقد يكون منصفا، ومع ذلك يبقى أن الحق هو ما شهدت به الأعداء، أو من كان يوما من الأعداء : « لم يمتحن رسولا من الرسل أصحابه كما امتحن محمدا أصحابه »، إنه قبل أن يتقدم إلى الناس جميعا ، تقدم إلى الذين عرفوه إنسانا المعرفة الكاملة ، فطلب من زوجته وغلامه وأخيه وأقرب أصدقائه إليه وأحب خلانه أن يؤمنوا به نبيا مرسلا ، فكل منهم صدق دعواه وآمن بنبوته. وإن حَليلة المرء أكثر الناس علما بباطن أمره ودخيلة نفسه، وألصقهم به، فلا يوجد من هو أعرف منها بهانته ونقائصه، أليس أول من آمن بمحمد رسول الله زوجه الكريمة التي عاشرته خمسة عشر عاما واطلعت على دخائله في جميع أموره ، وأحاطت به علما ومعرفة ، فلما ادعى النبوة كانت أول من صدقه في نبوته؟».

- حدثوا عنه . أزواجه كلهن وغيرهن ممن عايشه من صحبه وأهله وزواره. بما رآه من أحواله في خلواته في ليله ونهاره وفي أدق أموره في بيته وأشدها حميمة وصميمية.. حدثوا الملأ كله من الصحابة وغيرهم من أعدائه وأصدقائه وأذن هو في ذلك ليتعلم الناس.. ونشرت حياته الداخلية في النور فكانت كلها نورا على نور .. واهتدى بها الناس واقتدوا واستناروا وأناروا .. ولم تكن في أي منها سقطة أو غفلة أو هنة من الهنات مهما قلت أو دقت..

. كان يحضر مجالسه العامة المئات والآلاف ، وكان هو يأمر بأن يبلغ الشاهد فيها الغائب عما يقول فيها أو يقر أو ينكر أو يأمر أو ينهى أو يفعل أو يترك .

كان له صحب فقراء هم أصحاب الصفة لابيوت لهم ولا أهل، فكانوا كأنهم يساكنونه، ويلازمونه لا يفارقونه، يتناوبون الحضور في مجلسه للنهل من معين تعاليمه ودعوته العذب النمير ، ويغترفون من بحر سلوكه الطاهر المطهر الرائق الزُلال ، من خرج منهم ليكتسب ويرتزق ، بقي الآخرون في حضرته يتعلمون ويقتبسون ويحفظون ويروون وينقلون، يكتب منهم الكاتب، ويحفظ منهم الذاكر الحافظ ، ويروي منهم الحاضر للغائب ، لايفارقهم ولا يفارقونه إلا للضرورة القصوى في حل أو ترحال .. فلم يعرفوا عنه ولم ينقلوا عنه للناس في عهدهم ومن بعدهم إلا أنه الصادق المصدوق المعصوم من كل نقص أو عيب .. هكذا كان طوال حياته المباركة قبل البعثة وبعدها.

- تاجر وبايع وعامل وأخذ وأعطى وعاش حياة عامرة مليئة مثمرة فأصلح ولم يفسد، وأمَّن وآمن ولم يخن ولم يغدر، ووفى وأوفى ولم يخفر.. أكل ماله وأعطاه لغيره بالحق لا بالباطل ، لم يخدع ولم يطفف لم يبخس حقا ولم يخلف وعدا.

- دعاه أعدى أعدائه بالأمين...

- كانوا يبهتونه ظلما وعدوا حين جاءهم بالحق من ربه بأنه مجنون وكذاب ... ومع ذلك كانوا لايتقون بسواه يودعون عنده ودائعهم الغالية الثمينة... وآذوه في نفسه وأهله وماله ودينه وتآمروا عليه ليقتلوه أو يسجنوه.. وعذبوا أصحابه أمرَّ العذاب وأشده، واضطروه للهجرة.. ومع ذلك لم يغادر مكة أحب بلاد الله إليه إلا بعد أن خلَّف ابن عمه وربيبه ليرد ودائعهم إليهم..

- من هذه السيرة العطرة اقتبس الصحب الكرام.. فكان كل منهم حسب قدرته واستطاعته واستعداده يأخذ منها أخلاقه وآدابه .. بها يهتدي وبسنته يستن.. منها أخذوا أفرادا وجماعات وأمة أصولهم وضوابطهم في عقيدتهم وسلوكهم على ضوء تلك العقيدة.. فلم يعرفوا اعوجاجا ولا زيفا ..فكانوا حتى في أخطائهم كثير قمما ... يخطئون ويصيبون .. لأنهم يجتهدون .. وقد كانوا عليهم رضوان الله تعالى في اجتهادهم الصائب مأجورين أجر الصواب وأجر الاجتهاد، وفي اجتهادهم المخطئ لا الخاطئ كانوا مأجورين أجر الاجتهاد .. لأنهم في كل أعمالهم وكل حركاتهم وسكناتهم كانوا يبتغون وجه الله ويتخذون إليه الوسيلة.. وكانوا ركعا سجدا فرسان الليل رهبان النهار.. أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين .. يقدمون ليومهم ولغدهم .. يعيشون لدينهم ودنياهم وآخرتهم كأنهم يموتون غدا وكأنهم يعيشون أبدا .. لا تضيق عليهم دنياهم لأنهم في سعة الدنيا والآخرة لا يأسون على ما فاتهم ولا يفرحون بما آتاهم ، لايهنون ولا يحزنون لأنهم الأعلون بفضل الله ..لهم العزة .. لأنهم المؤمنون.

قانون الغاب

■ إعداد: حسناء داود

اختلجت نفسي مشاعر جياشة حول الأوضاع العالمية وما يعيشه شعب العراق حاليا من أخطار الحرب التي شنت عليه تحت ستار ما يدعونه من الدفاع عن السلم والحق والعدل ، فتأكدت أن عالمنا ليس عالما يسود فيه قانون الغاب والبقاء للأقوى

في قرية الخرفان دوت صيحة ... من أبعد الآفاق تنذر بالردى
جمع الذئاب تحالفت أذنابه ... وتهيأت لتحل في أرض الندى
وتظاهرت بالحق والعدل وأضمرت ... احتيالا سافلا ومكائدا
لبست قناعا للدفاع عن " السلا م " وقصدها أمر يخالف ما بدا
وقف الكبار وعبروا عن بأسهم ... قهروا ضعاف الغاب ، أكباش الفدا
قاتلوا :(نريد سلام عالمنا الذي ... نرجو له أمنا على طول المدى
في مجلس الأمن سنعلن أننا ... فوق الجميع وما يراه المنتدى
سنواجه الإرهاب في كل الدنى ... وسنشهر الحرب على كل العدا
سنجرد العرب الذين تملكوا ... أرضا وآبارا وتبرا أسودا
لنحل في قلب العرين ونرتدي ... زي المعين ومن يمد لهم يدا
وغدا تكون لنا هناك مراتع ... نلقي بها خيرا وفضلا زائدا
فنكون للأصحاب في وطن اليهود ... مساندا وأخا وجارا جيدا
والويل كل الويل للعاصي لنا ... ولمن يخون عهودنا متمردا
قانون غابتنا يحتم أن لِلـ ... ـأقوى بقاءً وانتصارا مفردا
سيكون في أرض الفرات لنا نصيب ... رغم أنف من استمات أو افتدى!)
خسئوا ، فلن يرضى الإله بظلم من ... حمل الكتاب مكافحا ومجاهدا
لابد أن يخزى اللئام ويرجعوا ... ليعود شعب العرب حتما سيدا
لابد أن يضع القدير نهاية ... لحروب غزوٍ واكتساح واعتدا
ودم الصغار إذا أريق فلن يروح ... بأرض بغداد هباء أو سدى !!

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1018
السنة 36
الجمعة 30 صفر 1424 هـ
الموافق 2 ماي 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1018 الجمعة 30 صفر 1424 هـ . الموافق 2 ماي 2003م

التنبيه والبيان لخطر عبدة الشيطان

■ إعداد: أبو عمر

ب عبدة الشيطان يهاجمون الأموات في ضواحي موسكو

أكد د. أيمن خيري، من مكتب (الرياض) موسكو أن قوات الأمن الروسية ألقت القبض على تسعة شبان من بين مجموعة كبيرة من الشباب الذين ينتمون إلى جماعة غريبة تعبد الشيطان ، ولكن الاعتقال لم يتم على هذا الأساس بل لأن مجموعة كبيرة منهم في طقس عجيب هاجمت المقابر في ضواحي موسكو ليلا وعاثت فسادا في الأضرحة ، وانقضت على الشواهد ورخام القبور تكسيرا وتهشيما الأمر الذي طال القبور الإسلامية والمسيحية واليهودية على حد سواء حتى أن عشرات القبور قد نبشت تماما، وقد اشتكى الأهالي نتيجة هذه الحادثة الغريبة التي باتت تتكرر في الآونة الأخيرة مشيرين إلى تنامي هذه النزعة بين الجيل الشاب الذي يعاني من خواء روحي وفراغ حياتي مدمر. وبما أن المقابر لا تحرس ليلا فقد كان من العسير على رجال الأمن معرفة الفاعلين الحقيقيين لولا أن أحد الشبان من عبدة الشيطان نسي حقيبته وفيها هويته الشخصية وحين عاد لاستردادها من (مملكة الأموات) تم الإلقاء القبض عليه وسرعان ما اعترف بمساهمته بهذه الفعلة الشنيعة دل على شركائه الذين سيقوا للتحقيق واعترفوا بهجومهم على المقابر تنفيذا لرغبة الشيطان. تجدر الإشارة هنا إلى أن مثل هذه الجماعات بدأت تتكاثر في السنوات الأخيرة وتتصاعد نزعاتهم العدائية ليس تجاه الأموات وحسب بل ومن خلال الاعتداء على الأحياء وخاصة ، علماء ورجال الدين الذين يعتبرونهم أعداء الشيطان لابد من التخلص منهم.

ت. عبدة الشيطان" يهددون أمن كينيا

طالبت الطوائف الإسلامية والمسيحية في كينيا (في أكتوبر 200) السلطات الرسمية بإيقاف نشاط جماعة" عبدة الشيطان" المسماة بـ " موجيكي " ومنعها من مزاولة نشاطاتها التي تحاول عن طريقها إحداث فوضى في أمن المجتمع.

جاء ذلك بعد أن شهدت الأوضاع في كينيا في الأيام الثلاثة الماضية تصعيدا كبيرا ، حيث انتشرت عمليات القتل والاختطاف على يد عناصر موجيكي في مدينة ممباسا الكينية. التي ينتشر فيها المسلمون. وجرت مواجهات عنيفة مستمرة بين أعضاء الطائفة ورجال الأمن.

وزاد من تصعيد الأحداث التهديدات التي وجهتها موجيكي للقيادات المسيحية والإسلامية بسحب بياناتها المضادة للطائفة، خاصة وأن الطائفة اعتبرت تلك البيانات تشويها لأفكارها.

وقد أعلن زعيم موجيكي " دانيال أرب" عقب طقوس دينية أقيمت مؤخرا أن قادة المسلمين والمسحيين الكينيين قاما بحملات هجومهم واسعة ضد طائفته لتشويه سمعة المنتمين إليها على حد تعبيره، وأنهم سينالون جزاءهم.

وكان رئيس أساقفة الكنائس الأنغليكانية قد شن هجوما على طائفة موجيكي قائلا : إنها طائفة شيطانية بحتة تتستر بالدين لتحدث الفوضى في المجتمع.

يذكر أن طائفة موجيكي تمارس نفس مايمارسه عبدة الشيطان، وتعتقد في نفس المعتقدات، بالإضافة إلى أنهم يعتقدون أن الإنسان لا يمكن أن يعيش في قوة ورخاء إلا عن طريق الاختطاف والقتل واستخدام أعضاء الآخرين.

ث. عبدة الشيطان في البلدان الإسلامية

لقد كنا نظن أن عبادة الشيطان ستقتصر على الغربيين نظرا للخواء الروحي، والتحريف بل التخريف الديني، وانقطاع الصلة بالله، وأن أهل الإسلام ، وأبناءه في معزل عن ذلك البلاء، ولكننا فوجئنا بالصحف تخبرنا بأن هذا الوباء والبلاء قد طال بعضا من أبناء المسلمين.

في لبنان ذكرت صحيفة (كل الأسرة) حادث انتحار مراهق (16 سنة) بإطلاق النار على رأسه.

وقد وجدت ملصقات وصور لأعضاء من فرقة (الروك) ورسوما لجماجم ، وثبت من التحليل الأول للقضية أن الفتى كان ينتمي إلى إحدى المجموعات الشيطانية.

وأما في مصر بلد الأزهر والإسلام فكانت الفاجعة الكبرى في شهر رمضان 1417 هـ حيث قبض على مجموعة من الشباب . من أبناء الطبقة الأرستقراطية . ينتمون إلى هذا الفكر الضال ويتقربون إلى الشيطان، وقد اعترفوا بذلك وقد أدانهم القضاء، وحكم عليهم المفتي بالردة ، ولكن للأسف ماتت القضية، وخرج المتهمون بدون أي عقاب؟!!!.

ولقد اعترف بعض المتهمين من أنهم صنفوا أنفسهم إلى عرائس وعرسان اعتبروا أنفسهم من قوم لوط وأن أبا نواس هو نبيهم الذي يعتنقون أفكاره، وأكدوا أن أفكارهم تدعو إلى هجر النساء خاصة للأعضاء المتزوجين، وان النساء خلقن للإنجاب فقط وان الممارسات الشاذة بين أبناء الجنس الواحد تكون أكثر متعة وكانوا يحرصون أيضا على بث أفكارهم من خلال الأنترنيت.

وتبين من التحريات أن أحد المتهمين يعمل أستاذا بكلية الطب ورئيس أحد الأقسام بها . وأشارت التحريات أن منهج التنظيم يقوم على التوحيد بين الديانات السماوية على أن تكون ممارسة الأفعال المنحرفة أساس هذا المنهج وقيامهم بممارسة بعض الطقوس الغربية والخاصة بالصلوات تحت اسم صلاة رب الجنود ويعقبها الدعاء الذي قام أحدهم بتأليفه ، وهو خليط جمع عبارات من التوراة والإنجيل والقرآن ويناجي فيه الله أن يصبح جنده في الأرض. وأكدت التحريات وأقوال المتهمين بأنهم اعتادوا تصوير اللقاءات المنحرفة فيما بينهم وبثها عبر شبكة الأنترنيت ضمن خطتهم لجذب أكبر عدد من الشباب.

عبدة الشيطان في الأردن

في الوقت الذي يمعن فيه شارون قتلا وتنكيلا في الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة داهمت الأجهزة الأمنية الأردنية حفلا موسيقيا صاخبا أقامته جماعة أطلقت على نفسها " جماعة عبدة الشيطان" في إحدى قاعات الاحتفالات في منطقة عمان الغربية حضرها حوالي 200 شاب وفتاة ، ينتمي غالبيتهم إلى هذه الجماعة وبعضهم من الطلبة الذين يدرسون في إحدى الجامعات الخاصة في عمان.

وللإشارة فإن الحضور جميعهم كانوا يرتدون ملابس فاضحة ويتقلدون بسلاسل من ذهب وكانوا جميعهم يشربون المشروبات الروحية وبعضهم يتعاطى المخدرات ، كما تبين أن وجوه وأيدي المشاركين في الحفلة موشومة بأشكال موحدة دليل على عضويتهم في جماعة " عبدة الشيطان.

وأخيرا بلاد المغرب الحصن الحصين للإسلام والمسلمين.

نشرت الصحف مؤخرا أخبار مفادها إلقاء القبض على مجموعة من الشباب بمدينة الدار البيضاء، وتقديمهم للمحاكمة بتهمة الانتماء إلى ما يسمى بعبدة الشيطان ، لكن سرعان ما قامت مجموعة ممن يسمون أنفسهم زورا وبهتانا مدافعين عن حقوق التعبير وحقوق الإنسان. بالاحتجاج ، وتنظيم مظاهرة قبالة مقر البرلمان، هذه الوقفة التي انتهت بحفل موسيقي، وهم يدعون أنهم قدموا للمحكمة بتهمة الموسيقى، وذلك مادعمته عدد من الجرائد التي لا تتورع عن سب الصحابة ونشر الرذيلة على صفحاتها كما هو معلوم، ولا أدري متى كان الاهتمام بالموسيقى، سماعا أو عزفا ، تهمة يعاقب عليها القانون المغربي، ولقد استغربت غاية الاستغراب عندما رأيت من المتضامنين مع هؤلاء الشباب/ الضحية ، بعض الفنانين الذين لهم مكانة عند المجتمع المغربي، في حين أننا نجد في مصر، حين المحاكمة حتى آباء وأولياء المتهمين تبرؤوا منهم ورجعوا إلى بيوتهم ، ولمن أراد التأكد من خلال الصورة فأكتفي بالإشارة إلى علامة واضحة ، نجده في صورة قد نشرت دون مراقبة على ما أظن، وذلك في جريدة الاتحاد الإشتراكي الأسبوعي ، عدد 49(14.20مارس 2003 .بالصفحة السادسة ، الصورة الثالثة من اليمين ، يوجد بها رمز الصليب المقلوب في أقصى اليسار الأعلى من الصورة ، إضافة إلى أمور أخرى لا يتسع المجال لذكرها ، وأرجو صادقا أن يكون هم هؤلاء الشباب هي الموسيقى ... وأرجع فأقول لماذا موسيقى الهادر روك بالضبط وليس الملحون أو الطرب الأندلسي، أو الأمازيغي بأنواعه وأشكاله وفنونه التي فيها حقيقة ما يغني عن غيره، وأرجو أخيرا أن ينتبه كل من يهمه أمر شبابنا إلى خطورة هذه الظاهرة الغريبة عن مجتمعنا وامتنا وإني لناصح أمين.

15 . أسباب هذه الظاهرة

لاشك أن لوجود هذا الفكر المنحرف بين أبناء المسلمين خاصة أسبابا، ونحن نذكر بعضها:

1 . الانفتاح الإعلامي الرهيب بدون أي قيود، ونشر الإباحية بصورة كبيرة، وإثارة النزوات، ونشر الفكر الهابط من أغاني ماجنة ، وأفلام هابطة، وكتب ومجلات إباحية بأيسر السبل وأزهد التكاليف.

2 - سياسة تجفيف المنابع الإسلامية، وكذلك تحجيم دور الدعاة ، ومنع وصول المفاهيم الشرعية إلى الناس، وما تذهب إليه جرائد معروفة في هذا المجال، من أن جعلت نفسها محكمة للتفتيش، فأصبح همها ملاحقة الدعاة وعلماء الأمة، من خطباء الجمعة إلى البخاري ومالك وأبي هريرة...

3 - الاختلاط المبالغ فيه، مع السفور الشديد وذهاب الأخلاق ، حيث أصبحنا في بعض الأحيان لا نميز بين الذكر والأنثى، فضلا عن عدم إمكانية تمييز المرأة المسلمة عن الكافرة.

4 - الدعوة المشبوهة للدفاع عن حرية الفكر والاعتقاد في حين يحاسب أهل الاسلام على النوايا والخطرات.

5 - سوء استغلال شبكات الاتصالات الحديثة(الأنترنيت) ، التي تحوي برامج تروج لمثل هذا الفكر المنحرف ، وتوصل مستجداته وطقوسه ومبادئه لمتابعيه بأحدث ما يتوصل إليه من يتابعون هذه النزعات الشيطانية ، وقد تلقى هؤلاء الشباب معلوماتهم عن عبادة الشيطان عن طريق هذه الشبكة.

6 - تحجيم التوعية الإسلامية من برامج ومحاضرات وندوات عن طريق العلماء والدعاة، ولا سيما في الجامعات والنوادي والمراكز التربوية، بدعوى أن لمن يلقونها أهدافا غير مرضي عنها ، ولا ندري أي أهداف للداعين إلى الله والعلماء والمفكرين المسلمين سوى توعية الأجيال بالإسلام الحق والفكر الرشيد والبيان للمخططات العلمانية التي تهدف إلى تدمير الشخصية المسلمة والمجتمعات المؤمنة؟ إلا إن كان هذا غير مرغوب فيه ، فذاك شيء آخر، ولا ندري لمصلحة من يتم ذلك.

7 - الحياة المترفة والمتفلتة التي تعيشها أسر هؤلاء الشباب بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وترك مسؤولية تربية الأبناء للخدم أو للمدارس والبعثات الأجنبية ، والتي عادة ماتكون أجنبية الولاء والعقيدة والأخلاق.

8 - شبه غياب التربية الإسلامية من المناهج التربوية ، خاصة في المستويات العليا ، خاصة نحن نعلم أن الشباب في هذه المرحلة يكون في أمس الحاجة إلى الدين ليحصنه ويقويه ضد هذه الانحرافات وأمثالها ، ألا فانتبهوا يا أهل الإسلام ، هداني الله وإياكم إلى أقوم السبل.

16- علاج هذه الظاهرة.

وبلاشك أن أي ظاهرة انحراف لها أسبابها ولها علاجها ، أما العلاج فهو القضاء على كل مبررات نشوئها وإيقافها بكل قوة وحزم، ويمكن اتخاذ إجراءات معينة في نظري تتمثل فيما يلي:

1 - تجريم أولياء أمور هؤلاء الشباب . ولو أدبيا . وتحميلهم جزءا كبيرا من مسؤولية انحراف أبنائهم ، حيث تركوا الحبل لأبنائهم على الغارب بتساهلهم في مسؤولية تربية هؤلاء الشباب ، مما أدى بهم إلى الوقوع في هذه التوجهات الفكرية الشاذة والمنحرفة.

2 - أهمية وضع القوانين والنصوص التشريعية التي تجرم مثل هذه الاتجاهات الشاذة ، إذ أن القوانين الحالية لا تجازي فاعليها إلا بأقل القليل، وأهمية تطبيق (حد الردة) بعد استيفاء أركانه، ولا شك أن تطبيقه مع أحد المجرمين سيردع كل من تسول له نفسه الوقوع في مثل تلك الانحرافات.

3 . ضرورة إيجاد المؤسسات التربوية والثقافية والترفيهية والرياضية الصالحة التي يجد فيها الشباب ما يشبع ميولهم وينمي هواياتهم، وإدامة هذه الأنشطة على مدار العام، وضرورة ترشيد عمل الأندية الرياضية وتطعيمها بالتوعية الدينية والفكرية.

4 - أهمية أداء وسائل الإعلام . وبخاصة المرئية منها . دورها الريادي في التوعية والتوجيه ، وألا تجاري القنوات الفضائية التي كثيرا ما تعمل على إشاعة الخلاعة والمجون، حتى أصبح ذلك رسالة لها في كثير من محطاتها، وأخص بالذكر المسابقات الهادفة ، والأفلام ذات القيمة الفنية والأخلاقية، والبرامج العلمية والتثقيفية والرياضية ذات المنفعة الحقيقية.

5 - تجريم بعض الكتاب الذين دأبهم تضليل الأمة بإشاعة الاتجاهات المعادية للإسلام، وتضليل الشباب، ومهاجمة التراث والاعلام الإسلامي بدون وجه حق، إلى درجة أن أصبح بعضهم لا يتورع في قذف شيوخ الإسلام ، بل سب النبي المصطفى، وإنكار ماهو معلوم من الدين بالضرورة ، باسم الحداثة وحرية التعبير.

6 - ضرورة مراجعة البرامج التعليمية ، وجعلها خاضعة للتعاليم الإسلامية ، منفتحة على التراث الإنساني والحضارات الأخرى، من غير أن يتصادم هذا الانفتاح مع الثوابت والمقدسات الدينية والوطنية ، وذلك من أجل تخريج أجيال صالحة مصلحة ، محصنة ومواكبة للتقدم الإنساني عموما.

17- وأخيرا:

من الخطورة بمكان اعتبار هذا التوجه الخطير كأن لم يكن ، وتناسيه ، سواء بضغوط معينة أو بتسامح ، مالم يعالج هؤلاء الشباب بتوبتهم أولا، ثم العلاج المتوالي بإصلاح الفكر بدورات تثقيفية متخصصة ، أما دعوى أنه لاتوجد حقيقة لهذه الجماعة. كما نشر. فهذا دفن الرؤوس في الرمال . والله أسأل أن يوفق الجميع لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

انتهى